ديجــوريا

مدينة الظلم والظلام..

روايـة

فاطمة محمد

"قدوتي عائشة"

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

مقـدّمــة

سكوتهم عن الظلم أدرجهم في القائمة مع أولئك المجرمين، ليتجرعوا من كأس العذاب نفسه؛ فماذا إن جاءتهم الفرصة ليكفّروا عن خطأهم، هل سيحاولون تغيير شئ من قدرهم والوقوف أمام الظلم، أم انهم قد اعتادوا على السكوت؟

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

" الفضول يجعلنا نكتشف الكثير من الأشياء
بدون الفضول سيعيش الإنسان حياته مثل
السلحفاة التي تعيش حياةً مريحة للغاية "
اجاثا كريستي

إهــداء

إلى أولئك الذين يعشقون البحث وحل الألغاز، الذين يحبون أن يعرفوا مالذي تخبئه الأبواب المغلقة!

إليكم أيها...

الـفضوليين...

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

١_

"مصعب كم تبقى من الوقت لنصل إلى القرية؟ "

كان ذلك السؤال من تلك السيدة الخمسينيه والمتشحة بالسواد وهي تجلس في المقعد الخلفي من سيارة الأجرة التي أقلتهم من محطة القطار، أتاها رد ابنها الوحيد والذي يجلس في المقعد الأمامي بجوار السائق، قائلاً بهدوء وهو يلتفت نحوها ليحدثها :

_تبقى ساعة يا أمي.

أومأت المرأة موافقه ثم قالت:

_حسنًا، سأنام قليلاً وعندما نصل أيقظني.

_حاضر.

قالها بإيجاز وهو يعتدل في جلسته ثم مدّ يده في حقيبته الجلدية وأخرج دفتر مذكراته ذو الغلاف البني وشرع في الكتابة..

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

"الثالث من مايو الساعة السادسة صباحًا..

نحن الآن في محافظة المنيا وفي طريقنا إلى بيت جدي "عبد العزيز" والد أمي، ذلك البيت القديم الذي قضيت فيه سنوات عديدة من طفولتي مازلت أذكر عندما كنت أجلس أنا وابناء خالي "صالح" على الأرض لنستمع إلى جدي الجالس على كرسيه الهزاز أمام المدفأة الكبيرة وهو يحكي لنا قصصًا شيقة، كانت جميع قصصه عن المغامرات والسفر وقد كان لهذه القصص دورًا كبيرًا في تكوين شخصيتى الفضوليه التي تعشق المغامرة، بيت جدي هذا مختلفٌ بعض الشئ، فهو لا يشبه أي بيت من بيوت القرية بجدرانه وأثاثه ونوافذه وأبوابه، وبالطبع لن أنسى ذلك الباب الغامض القابع في قبو البيت، ففي صغري كنت كثيرًا ما أحاول التسلل إلى القبو وفي كل مرة وقبل أن أقترب من ذلك الباب كان جدي يُمسكني متلبسًا؛ لأنه كان يراقبني جيدًا فقد كان يعلم تمام العلم أنه لن يهدأ لي بال حتى أعرف قصة ذلك الباب ومالذي يخبئه خلفه من أسرار أو هذا ما كنت أظنه أنا، وكالمعتاد كنت أتعرض لعقوبة شديدة من والدتي بسبب فضولي الشديد، وبالطبع لم يتجرأ أحدٌ من أبناء خالي على الاقتراب من القبو خوفًا على أنفسهم من العقاب، أنا الذي كان الفضول يقتله للذهاب إليه كلما سنحت له الفرصة، وما

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

أكثر المرات التي كنت أسألهم فيها عن الباب ولا أحد يجيبنى إجابة ترضي فضول القطط الذي لدي، كانوا يقولون إجابة ثابتة لا تتغير؛ كانوا يقولون أنه باب قديم لا قيمة له وقد ضاع مفتاحه منذ زمن ولن يستطيعوا فتحه الآن!

وإجابتي واحدة كما هي، إذن قوموا بكسره.. ولم أجد إجابه أيضاً!

وكلما زاد منعهم لي أكثر، اشتعل الفضول بداخلي أكثر فأكثر...

مرت السنوات ومات جدي "عبد العزيز" وتم إغلاق البيت ولم يفكر أحدٌ في فتحه أو أن يعيش فيه، وخالي صالح قد تنازل عن حقه في هذا البيت لأخته الوحيدة "أمي" وسافر هو و زوجه وابناءه إلى خارج البلاد، حقيقةٌ أنا أؤيدهم في هذا التصرف، فمن ذا الذي يفكر في العيش في قرية ريفيه صغيرة في صعيد مصر ويترك حياة المدن والخارج بكل تقدمه ورفاهيته سوىٰ أمي التي لم تعد تطيق العيش في المدينة بعد وفاة والدي العام الماضي، فلم يعد لها أحدٌ في ذلك المكان من بعده لذا قررت هي الإنتقال للعيش في قريتها ومسقط رأسها وبالطبع إضطررت أنا للمجيء معها ونقل عملي كمحاسبًا في البنك إلى أحد فروعهم القريبة من القرية، وهأنذا أترك حياتي السابقة وراء ظهري؛ لأبدأ حياة جديدة مختلفة هنا، صحيح أن حياتي السابقة لم تكن مثيرة للاهتمام بل كانت مملة للغاية؛ لكن من يدري ربما يخبئ لي

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

القدر شيئاً مختلفاً هذه المرة، عادة ما اشعر أن هناك شيء ما سيحدث ويحرك المياه الراكدة في حياتي، ربما يكون شعوري هذا حقيقة وربما يكون وهماً، لا أدري ها انا انتظر لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً."

أغلق دفتره وأعاده مكانه في الحقيبة، ثم أستند برأسه على مقعده، وهو ينظر من نافذة السيارة متأملاً الطريق الذي تغير إلى حدٍ كبير منذ آخر مرة جاء فيها إلى القرية والتي كانت في اليوم الذي مات فيه جده، إستيقظ من تأمله على صوت السائق وهو يخبره بإقتراب وصولهم، إلتفت نحو والدته في المقعد الخلفي، ليقول بهدوء :

_أمي.. لقد وصلنا !

فتحت عيناها ببطئ وإعتدلت في جلستها وهي تمسح وجهها بكفيها لتزيل آثار النوم، ثم التفتت نحو " سليمه " تلك المرأة التي كانت تعمل في خدمة الجد وعندما توفى أخذتها لتعيش معهم وتساعدها في أعمال المنزل فهى إمرأة وحيدة ليس لها زوج ولا ابناء وها هي تحضرها معها إلى قريتها مجددًا، مدت يدها إلى "سليمه" وهزتها من كتفها برفق لتستيقظ الأخيرة وهي تتثائب، لحظات وتوقفت السيارة أمام أحد البيوت الكبيرة ذات الطراز الكلاسيكي الأنيق، ترجلوا من السيارة

فأخذ السائق بإنزال حقائبهم، فتحوا باب البيت ثم دخلوا وهم يغطون أنوفهم فالأتربة كانت تملئ المكان وبما فيه الأثاث المخبئ تحت الأغطية البيضاء أو التي كانت بيضاء!

أخذ مصعب يتأمل البيت بحنين وأشتياق فلم ينسى هذا المكان الذي قضى فيه أجمل أيام حياته وقد كان يفضل قضاء عطلاته الصيفية مع جده "عبد العزيز".

يتكون البيت من طابقين، أما الأول فيحتوي على بهو واسع وبه المدفأة الكبيرة وأمامها يمكث الكرسي الهزاز، وعلى الجانب توجد غرفة الجد الواسعة والتي كان يقسمها إلى نصفين، نصف جعله مخصص للنوم والنصف الآخر عبارة عن مكتبه كبيرة ذات أرفف عاليه تصل إلى سقف الغرفة، تحوى العديد من الكتب القديمه في كافة المجالات وقد كان يستطيع أن يجهز غرفة من غرف البيت الكثيرة ويتخذها غرفة للمكتبه؛ ولكنه كان يحب أن يكون قريبًا من كتبه التي يتعامل معها وكأنها فرد من أفراد أسرته، بجانب غرفة الجد توجد غرفة المعيشة والمطبخ وآخر البيت يوجد فناء واسع له أرض رخامية تتوسطه نافوره بيضاء كبيرة وطاولة صغيرة يلتف حولها أربع مقاعد

مصنوعة من خشب الخيزران، حيث كان يجلس جده هناك كل صباح يحتسي الشاي بالنعناع الأخضر الطازج تحت أشعة الشمس، وفي المساء يجلس ليشاهد القمر والنجوم، وهناك في أحد أركان الفناء الواسع توجد أحواض الزهور والنباتات الطبيعية ذات الرائحة العطرية والتي كان يزرعها الجد ويعتنى بها لكنها جفت وماتت مثل صاحبها، وعن الطابق الآخر فهو مخصصٌ للضيوف والأقارب حيث توجد به أكثر من غرفة للنوم لكل منها مرحاضها الخاص، ولكل غرفةٍ لونها المختلف عن الغرفة الأخرى، كان البيت ذو طراز قديم في تصميمه فقد استعان الجد بمهندس إنجليزى ليصمم له البيت كما هو الحال في البيوت القديمة في إنجلترا وقد أصبح يشبه تلك البيوت إلى حدٍ كبير فيما عدا الفناء فقد كان على الطراز الشرقي -الدمشقي- ولا يجب نسيان القبو الذي يوجد بابه بجانب المطبخ فهو أهم شئ بالنسبة لمصعب والذي ما يزال يتحرق شوقًا ليعرف قصة الباب الغامض، وقد قرر في نفسه أنه سوف يذهب ويحاول فتح الباب ويعرف ما الذى يوجد خلفه وهذه المرة لن يستطع أحدًا أن يمنعه من ذلك مهما حدث!

■ ■ ■

٢_

منذ وصولهم لم يتوقفوا عن تنظيف البيت ومع غروب الشمس كانوا قد انتهوا تمامًا وعاد البيت لامعًا ونظيفًا صعد مصعب إلى غرفته وأخذ حمامًا دافئًا ليزيل عنه الأتربة والتعب، ثم صلى فرضه وخلد إلى النوم دون أن يتناول طعامه حتى فحاجته للراحة كانت أكبر بكثير من حاجته للطعام...

طار غراب الليل مبتعدًا عن المكان تاركًا المجال للشمس لتشرق بنور ربها على الأرض معلنه عن نفسها بقوة، تململ في فراشه ووضع كفيه على وجهه بإنزعاج ليبعد أشعة الشمس التي تسللت من النافذة خلسة وهي تحاول إيقاظه عنوةً، ولم تكن أشعة الشمس وحدها هي من تحاول إيقاظه فقط وإفساد راحته، بل إن العصافير أخذت تزقزق وهى تقف على نافذة غرفته، نهض جالسًا على الفراش بتأفف وهو يمسح وجهه بإنزعاج ثم مدّ يده إلى هاتفه المحمول ونظر فيه بعين مغلقة وأخرى مفتوحه لتتسع عيناه على آخرهما وهو يهتف بصدمة عندما وجد الساعة قد تخطت الثامنه صباحًا!

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

_ألهذا الحد كنت متعباً حتى أنني لم أستمع إلى صوت رنين المنبه ليوقظني لصلاة الفجر، ويبدو أن والدتي لم تستيقظ أيضًا لو فعلت لكانت جاءت وأيقظتني.

نهض من فراشه بتثاقل وكل عضلة في جسده تئن من شدة التعب تطالبه بالعودة للفراش مجددًا والحصول على أكبر قسط من النوم والراحة، سار حافي القدمين ووقف أمام نافذته وهو يفرك جبينه بتكاسل، وقف قليلاً متأملاً المساحات الخضراء الواسعه التي تبعدهم عدة أمتار وبعض البيوت المتناثرة وسط تلك المساحات تاركة وراءها منظراً جميلاً مريحاً للعين والنفس، ابتسم بهدوء ثم سار بإتجاه المرحاض المرفق لغرفته توضئ وصلى فريضة الصبح ثم نزل إلى الطابق الأول لتتسلل إلى أنفه رائحة الفطائر الطيبة التى تخبزها والدته كل صباح، ذهب إلى المطبخ فوجد والدته تضع الفطائر الساخنه في الأطباق والخالة "سليمة" تسكب الشاى في الأكواب، رفع يده وقال باسمًا :

_ صباح الخير

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

إلتفتت السيدتان وردتا تحيته، فـتقدم مصعب وهو يضع يده على بطنه:
_اشعر بالجوعٍ الشديد، فأنا لم أتناول الطعام منذ أمس .

أجابته والدته قائلة وهي تضع أطباق الطعام على الطاولة :
_ومن تناوله بني لقد كنا متعبين للغاية ولم يكن الطعام فى بالنا وقتها .

جلس على مائدة الطعام وهو يوزع نظراته بين محتوياتها قائلاً بإندهاش :
_ بمناسبة الطعام من أين جئتم بكل الموجود هنا على الطاوله؟

_لقد استيقظت الخالة "سليمة " باكرًا وذهبت إلى السوق وأحضرت لنا الفاكهة والخضراوات والخبز وكل مانحتاجه من مؤن تكفينا لأسبوع كامل.

هزَ رأسه بتفهم وانتظر حتى تجلس والدته وسليمه على المائدة ليبدأوا تناوله سويًا كعادتهم .
بعد الإنتهاء من تناول الفطور خرجت والدته لتزور بعض جيرانهم

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

القدامى بينما ذهبت سليمة لترتاح قليلاً، تلفت مصعب حوله والذي كان ممددًا على الأريكه أمام التلفاز، ليبتسم بمكر عندما لم يجد أحدٌ في المكان نهض من مجلسه وأغلق التلفاز ثم فرك كفيه ببعضهما ليقول بحماسة:

_ يبدو أن الوقت قد حان!

تسلل ببطئ كاللصوص إلى باب القبو وفتحه برفق ثم ضغط على زر الإضاءة، نظر فيه بتفحصٍ وهو يرى الأتربة تملأ القبو ومن الواضح انه المكان الوحيد الذي لم تقم والدته بتنظيفه، يبدو أنه لا يهمها ولكنه شديد الأهمية بالنسبة إليه، نزل على الدرج بحذر شديد حتى وصل إلى الأسفل سار في القبو الواسع حتى وصل إلى الباب والذي كانت تغطيه الأتربة بشكل كبير مثله مثل كل شئ في القبو، وقف أمامه وقد علت على وجهه ابتسامة واسعة:

_حسنًا هذه المرة لن تقرصنى من أذني وتخرجنى من هنا يا جدي، فهأنذا أقف أمام الباب وسأفتحه إن شاءآلله ..هيا تعال وأمنعني!

ضحك بخفوت على تصرفاته الصبيانية، ثم تلفت حوله وهو يبحث عن أي شيء يمسح به الأتربه التي على الباب، عاد إلى المطبخ وأحضر

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

قطعة قماش وأخذ ينفض الأتربة حتى زالت عنه تمامًا ليستطيع رؤية الباب بشكل أوضح، تمعن النظر فيه قليلاً ليرتفع حاجباه وهو يصيح مندهشًا :

_أين مقبض الباب وأين هو مدخل المفتاح؟

لم يكن هناك أي فُتح أو مقابض على الباب كان عبارة عن لوح خشبي قديم له ملمس خشنًا جدًا، وقف على مقربة من الباب محاولاً دفعه بكل قوته ولكنه لا يفتح، إلتقطت أنفه رائحه قويه تفوح من الباب إقترب بأنفه منه لينتفض بعدها مسرعًا إلى الخلف وهو يهتف بذعر:

_دماء! من أين تأتي رائحة الدماء هذه؟

إقترب مجددًا ثم وضع أذنه على الباب بحذر عله يستمع لأي صوت أو حركة تنم عن وجود أي شيءٍ خلفه، والنتيجة كما هي، لا وجود لأي أصوات في المكان مما جعل الفضول يشتعل بداخله أكثر وأكثر، حكّ رأسه وهو يدور حول نفسه قائلاً بتحدٍ :

_يجب أن أفتح هذا الباب وأعرف ما قصته وما قصه رائحة الدماء هذه وبأي ثمِن كان!

قالها ثم صعد إلى الأعلى بخطوات واسعة حتى وصل إلى غرفة جده، فتح الباب ووقف يتأملها بحنين وأشتياق لصاحبها الغائب الحاضر في قلوبهم، وقعت عيناه على مقعد وثير في زاوية الغرفة، هنا كان يجلس جده ويقرأ في كتبه الثمينة والقيّمة كما كان يقول عنها دومًا، وهذا شئ عرفه مصعب فيما بعد فقد ورث من جده شغف القراءة وحب الإطلاع والفضول، حانت منه إلتفاته نحو فراش جده وتذكر عندما كان ينام جده و يأخذه في حضنه وهو يحكي له قصصًا عن ملوك وأمراء العرب وكان يقول له دومًا أنه يشبه الأمراء إلى حدٍ كبير في شجاعتهم، لم ينسى مصعب نصيحة جده الدائمة له، والتى كان يرددها عليه جده حتى حفظها عن ظهر قلب..

" تسلح يا بني بالفضيلة والأخلاق الطيبة؛ لأن هذه هي أقوى أسلحة الأمير الحقيقي "

مسح دموعه التى نزلت بغتتةً بتذكره لجده، ثم خطى داخل الغرفة بخطوات ثابتة، ظلّ يجوب فيها بعينيه متفحصًا زواياها وأركانها:

_مؤكد أن جدي يعرف طريقة فتح الباب، دعني أرى لو كنت مكان جدي ماهو أفضل مكان يمكن أن أخبئ فيه شيئًا هامًا ؟

ضيق عينيه بتفكير ثم هتف بسرعة :

_ الكتب!

خطى نحو مكتبه جده الموجودة في الغرفة وأخذ يدقق النظر في الكتب الكثيرة الموضوعة على الأرفف بعناية، وقعت عيناه على كتاب كبير ذو غلاف أسود قديم مزين ببعض الخطوط الذهبيه، تذكر أن جده كان يقرأ في هذا الكتاب بإستمرار، تناول الدرج الخشبي ثم صعد عليه وأحضر الكتاب، فتحه وأخذ يقلب فى صفحاته ليتفاجأ بسقوط شئٌ ما منه نظر إلى الأرض فوجده ظرفًا ورقيًا قديمًا، نزل عن الدرج ثم وضع الكتاب على المنضدة وانحنى ليحضر الظرف وهو يقلّبه بين يديه بإهتمام، لفت إنتباهه الشئ المدوّن على الظرف..

" إلى مصعب "

إتسعت عيناه وصاح مندهشًا :

_ لي أنا ؟!

فتحه على عجل فقد كان متشوقاً لمعرفة مالذي يحتويه هذا المكتوب، وقد كان على علم بأنه من جده "عبد العزيز" فهو على معرفة تامة بخط جده المنمق والمميز، وخاصةً أنه وجد المكتوب في مكتبة جده

أخذت عيناه تلتهم السطور وهو يقرأ بصوتٍ خافت :
" عزيزي مصعب أعلم جيدًا أنك ستأتى إلى هنا وتبحث عن طريقةٍ لفتح الباب فأنا أعرفك يا صغيري كلما حاولت منعك من الإقتراب من ذاك الباب كنت تعاود الذهاب إليه من جديد، أعلم هذا الفضول جيدًا فلقد كنت مثلك عندما كنت فى مثل عُمرك؛ شخصٌ فضولي ويحب المغامرة أنت تشبهني كثيرًا.. أعلم أيضًا أنك تبحث عن مفتاح الباب ولكن الحقيقة هي أنه لا يوجد أي مفتاح لذاك الباب، ولا أعرف كيف يُفتح حتى، لقد حاولت كثيرًا فتحه وكانت النتيجة واحدة لا يفتح، أريد أن أخبرك شيئًا هامًا يا مصعب، هذا الباب لم يكن موجودًا في القبو من قبل، لقد ظهر هناك فجأة، أجل لقد ظهر في يوم مولدك، ذلك اليوم ذهبت لأحضر شيئًا من القبو وتفاجأتُ بوجوده هناك، لا تندهش هكذا يبدو أن هناك صلة قوية بينك وبين الباب، ويبدو أنك الوحيد الذي يستطيع فتحه، وأنا أثق أنك تقدر على ذلك.. بالتوفيق بني ..أحبك..
"جدك"

رفع رأسه من على الرسالة ونظر أمامه وهو يتمتم بشرود :
_ ظهر في اليوم الذي ولدت فيه، ولكن كيف يعقل هذا! ولماذا لم يذكر جدي شيئاً عن رائحة الدماء في رسالته، يبدو أنني فقط الذي يستطيع

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

شمها!

حكّ رأسه في حيره وقلق ثم أستطرد بعدم فهم:
_السؤال هنا، كيف سأفتح الباب فقد كنت أظن أن جدي يعرف طريقة فتحه ولكن الآن...

ألقى بثقل جسده على اقرب مقعد قابله وهو يمرر يده في خصلات شعره الأسود الطويل نسبياً، وقد بدأ اليأس يتسلل إلى قلبه رويدًا رويدًا هز رأسه بقوة ثم قال بحزم وإصرار :
_لا، لن أيأس مهما حدث سأحاول وأحاول حتى أفتح الباب ولن أستسلم يجب أن أعرف قصته ولماذا ظهر في يوم مولدي، في السابق كان الأمر مجرد فضول لا أكثر أما الآن فالأمر له علاقة بي!

فُتح باب الغرفة وأطلت منه والدته ثم أرسلت تنهيدة متعبه وهى تقول :
_وأخيرًا وجدتك، لقد بحثت عنك كثيرًا حتى أنني ظننت أنك خرجت من البيت ولكن عندما رأيتُ هاتفك ومفاتيحك على الطاولة عرفت أنك لم تغادر، مالذي تفعله عندك؟

أجابها بإيجاز وهو يضغط على مقدمة رأسه :
_أبحث عن شئ يا أمي.

دارت بعينيها في المكان ثم سألته بإهتمام :
_هنا في غرفة جدك؛ وهل وجدته؟

_لا ليس بعد .

لاحظت الأم علامات التعب والضيق على وجه ابنها فاقتربت منه وأخذت تربت على كتفه قائلة بحنان:
_لاعليك بنى مؤكد أنك ستجد ما تبحث عنه فأنا أعرفك، الإستسلام لا يعرف طريقًا إليك، تحاول وتحاول حتى تصل إلى مبتغاك، ولكن لا ترهق نفسك هكذا يا عزيزي فالتعب يبدو جليًا على وجهك، هيا لقد أعددت طعام الغداء أنا والخالة "سليمة" تعال لتأكل معنا.

إبتسم لها ممتنًا ثم نهض من مجلسه ووضع رسالة جده فى جيب بنطاله وخرج مع أمه ..

■ ■ ■

٣

أحياناً تكون الحقيقة واضحة وضوح الشمس أمام أعيننا ولكننا لا ننتبه لها، ليس غروراً منا أو نكراناً لها؛ بل عدم تصديق أن ما كنا نبحث عنه ونظن أنه بعيد كل البعد عنا كان أمامنا طوال الوقت ولم ننتبه لوجوده!

كان جالساً على أحد المقاعد المصنوعة من الخيزران في فناء البيت متوسدًا ذراعيه وهو ينظر إلى النجوم المتلألأة في صحفة السماء بنظرات خاوية وكل ما يشغل تفكيره الآن هو أمر الباب، تُرى ماقصته ومالذي يخفيه خلفه ولمَ ظهر في يوم مولده ومن الذي أظهره، كل تلك الأسئلة وغيرها كانت تدور في رأسه كدوران الكواكب حول الشمس مسببه له بصداعٍ حاد... نهض من مجلسه وهو يلتقط هاتفه ثم توجه نحو الداخل صاعداً إلى غرفته، فتح الباب ثم أغلقه خلفه دون إهتمام وهو يجر قدميه بتثاقل حتى وصل إلى فراشه جلس على طرفه ثم مد يده وأخرج رسالة جده من جيب بنطاله وهو يقرأها ويكررها حتى حفظها عن ظهر قلب، زفر بضيق وهو يمسح وجهه بإرهاق:

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

_لقد تعبتُ وأنا أفكر طوال النهار في طريقة لفتح الباب، لقد جربت معه كل الحيل وهو لا يتزحزح من مكانه حتى!

نهض ليبدل ثيابه بمنامة قطنية، ثم ألقى بجسده على الفراش ووضع رسالة جده تحت الوسادة، ثم قال وهو يتثاءب بتعبٍ :
_في الغد إن شاء ٱلله بعد أن أعود من العمل سأحاول معه مجددًا لعل وعسى يتكرم عليَ هذا الباب ويُفتح!

.

.

.

.

" نظر إلى الحائط الذي على يمين الباب فوجد حجرًا أسوداً لامعاً مختلفًا عن باقي الأحجار الموجودة في الحائط، رمش بعينيه بصدمة وتقهقر عدة خطوات إلى الخلف عندما رأى الحجر وهو يتحرك داخل الحائط بمفرده، نظر إلى الباب فإذا به يُفتح دون أي تدخل منه "

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

انتفض مصعب من نومه وهو يتصبب عرقًا فدار حوله بـتيه ليجد نفسه في الغرفة وهي تسبح في ظلام حالك وأن ما رآه لم يكن سوى حلم غريب، جلس على فراشه وهو يلهث بإنفعال وكأنه خارج من سباقٍ للركض، مد يده إلى الطاولة الصغيرة بجانب الفراش وأشعل مصباح الإضاءة الذي على الطاولة، وظل للحظات صامتاً محاولاً استيعاب ما رآه في المنام، فصاح بعدم تصديق وقد فطن عقله لشئ ما:
_الحجر! أيعقل أنه هو مفتاح الباب؟

قفز من على الفراش ونزل إلى الطابق الأول حافي القدمين، لاحظ أن البيت في حالة سكون تام، فـنظر إلى ساعة الحائط المعلقة بجانب المطبخ ليجدها العاشرة مساءً والجميع نيام وهذا شئٌ طبيعي فسكان القرى يُفضلون النوم في هذا الوقت ليستيقظوا مبكرًا ويباشروا أعمالهم بعكس الحياة في المدن.. فتح باب القبو واشعل الإضاءة ثم نزل على الدرج حتى وصل إلى الباب فوقف أمامه وحوّل نظره إلى الحجارة الموجودة على الحائط؛ فصدم عندما وجد الحجر الأسود الذي رآه فى المنام منذ قليل، مد يده وهو يضغط عليه بـكفٍ مرتجف ليجده يتحرك داخل الحائط والباب يفتح أمامه بالفعل تماماً كما رأى في

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

المنام، كانت إبتسامته تزداد شيئًا فشيئًا وهو لا يصدق أن هذا يحدث معه بالفعل، ليسأل نفسه بتفكير:

_ أيعقل أن جدي لم ينتبه لهذا الحجر ولم يرى كيفيه فتح الباب مثلما حدث معي؟

هزّ كتفيه بعدم إكتراث، لا يهم كل هذا ما يهمه الآن أن الباب قد فُتح أخيرًا، وهاهو على بعد خطوات من معرفة سر الباب الذي شغل تفكيره لسنوات طويلة، أطـلّ برأسه وألقى نظرة إلى الداخل ليجد أمامه ممراً مظلماً، إبتلع ريقه بصعوبة ثم أخذ نفسًا طويلاً وأخرجه ببطئ، وقد حسم أمره ليخطو أولى خطواته داخل الممر نحو المجهول الذي ينتظره.. لم يكن الممر طويلاً كما تخيل فقد انتهى بسرعه وظهر أمامه مكانٌ غريب لا يشبه القريه التي يعيش فيها، ولا أي مكان آخر، نظر حوله في إندهاش مما يراه، فباغتته رائحة قوية ليضع يده على أنفه من تلك الرائحه وهو يقول بخوف وقد بدأ القلق والتوتر يتسللان إلى قلبه رويداً رويداً:

_ ما هذا المكان الغريب ولمَ هو مظلم هكذا، ورائحه الدماء القوية هذه من أين تأتي؟

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

كان المكان غارقًا في الظلام شديد لا ينيره سوى تلك المصابيح الزيتية

الكبيرة المعلقة أمام المنازل، وهذا ما أثار ريبته فمن يستعمل هذه المصابيح القديمه في وجود الكهرباء، نظر حوله لعله يجد أحداً يحدثه ويسأله عن هذا المكان، ولكن كانت الشوارع خالية تمامًا من المارة، فكر قليلاً هل يتجول في الشوارع ويحاول استكشاف هذا المكان الغريب أم يعود إلى البيت وينسى كل ما حدث وينهى هذه الرحله من قبل أن تبدأ حتى..

اثناء تفكيره وقبل أخذ قراره حانت منه إلتفاته خلفه فأنتفض بفزع وهو يهتف بذعر:

_ أين أختفى الباب، لقد .. لقد كان هنا منذ قليل؟

إرتجفت فرائصه وهو يدور حوله بتيه وقلق :

_يا اللهي ما العمل الآن، وكيف سأعود إلى البيت، هناك أمرٌ مريب في هذا المكان!

يبدو أن القرار هنا ليس قراره، وبما أن الظروف أو الفضول قد وضعاه هنا سيغامر ويحاول أن يعرف أكثر عن هذه المدينة أو القرية أيًا كان اسمها، وليجد طريقة للعودة إلى البيت، رفع رأسه وألقى نظرة

إلى السماء فوجدها مظلمة بشكل مخيف وبها بعض النجوم القليلة والقمر بدا مختلفاً كثيراً عن ما هو معتاد، فقد كان لونه أحمر كلون الدماء!!

تأمل شكله قليلاً وهو يقول بإرتباك :

_هل هذه الليلة هي ليلة خسوف القمر الدموي؟ ومتى ستشرق الشمس فالمكان يبدو موحشًا للغاية!

أخفض رأسه وراح يتأمل المكان حوله، ثم خطى بتثاقل وأخذ يجوب الشوارع مدة من الزمن وهو لا يعرف أين يذهب فكل المنازل تشبه بعضها إلى حدٍ كبير، منازل كبيرة وصغيرة متراصة بجانب بعضها مبنية بالحجارة وذات قباب مخروطية من القرميد منها من لديه نوافذ طويلة ومنها من لديه شرفات ذات أعمدة حديدية كان هذا هو الإختلاف الوحيد فيما بينهم، كانت تشبه منازل مدينة البندقية القديمة إلى حدٍ كبير، تعب من السير خاصةً أنه يسير بلا حذاء، فقرر التوقف عن البحث وإختيار أي منزل ليطرقه وقع الإختيار على إحدى المنازل الصغيرة ذات الطابق الواحد، لفته ذلك الطوق الخشبي ذو الأشواك الغريب المعلق أعلى الباب، غضن حاجبيه ثم مد يده وأمسك بدائرة حديدية مُعلقه على الباب تشبه حدوة الحصان وطرق بها الباب ثلاث

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

مرات انتظر قليلاً ثم رأى الباب يُفتح أمامه ببطئ ويظهر من خلفه

رجل يبدو أنه في أواخر الخمسينيات لديه لحية بيضاء طويلة ويمسك في يده مصباحًا متوسط الحجم، تثاءب العجوز وهو يتساءل بصوتٍ ناعس :

_ من؟

إتسعت حدقتا مصعب بدهشه وهو ينظر إلى ثياب الرجل بتعجب واضح فقد كانت غريبة بعض الشئ؛ كلا بل غريبة كثيراً، تشبه ثياب بعض سكان آسيا إلى حدٍ كبير، بقميصه الأزرق الذي يمتد حتى ركبتيه تحته سروالاً أبيضاً فضفاضاً، أخذ يتأمله بشيءٍ من الرهبة والقلق وقد اصبح على ثقة تامة بأن هناك شئٌ مريبٌ في هذا المكان، أين هو الآن وماهذا المكان الغريب، ولمَ هذا الرجل يرتدي تلك الثياب، هل إنتقل عبر الزمن وكأن الباب بمثابة آلة أو بوابة زمنيه أخذته إلى مكانٍ آخر؟ هز رأسه ينفض تلك الأفكار الغبيه عن رأسه، ليتنحنح بخفوت وهو يقول بتردد للرجل الواقف أمامه:

_أنا مسافر ولستُ من هذه البلدة، فقط أريد مكان ابيت فيه هذه الليلة حتى تطلع الشمس.

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

لم يكن مصعب وحده الذي يتأمل هيئة الرجل بإندهاش بل كان العجوز هو الآخر ينظر إلى مصعب بتفحص، لترتسم إبتسامة صغيرة على ثغره المجعد وهو يقول بتهكم :

_لقد تأكدت أنك لست من هذا المكان تفضل بالدخول!

لم يعلق على كلام الرجل الذي بدا غريبًا ودخل خلفه وهو يتلفت حوله بقلق، كان بيت العجوز بسيطًا ومتواضعًا في كل شئ، وقد كان مكونًا من ردهة صغيرة تتوسطها منضدة خشبية مستطيلة ومتهالكة وُضع عليها إناء فخاري به بعض التمرات الجافة، وبجانب الباب تستقر مدفأة صغيرة، والأرض مغطاة بـفِراشٍ مصنوعة من نبات الحلف الجاف، أشار الرجل إلى مقعد خشبي أمام المنضدة، جلس عليه مصعب بهدوء فجلس الرجل قبالته ثم باغته بسؤاله وهو ما زال يتفحصه هو وثيابه التى بدت غريبة بالنسبه له أيضاً :

_ ما اسمك ومن أي البلاد أنت، فهيئتك توحي بأنك لست من أى مدينة أو قريه مجاورة.

هزّ مصعب رأسه موافقًا وأجابه بإنهاك :
_ اسمي مصعب، وأنا لست من أى مدينة مجاورة، حتى أنني لا أعلم ما هذا المكان الغريب!

رفع العجوز حاجبيه بدهشة و قال مستنكرًا ما سمعه :
_وكيف أتيت إلى مكانٍ لا تعرف عنه شيئًا ؟

نكّس الأخير رأسه وأجاب بنبرة يشوبها التردد والندم :
_عن طريق الباب!

أتاه صوت العجوز وهو يقول مصححًا :
_بل قصدك من بوابة المدينة، ولكن من أي واحدة دخلت فالمدينة لها أربع بوابات؟

هز مصعب رأسه بالنفي وقال بإصرار :
_لا، الباب وأخشى إن قصصت عليك قصتي لن تصدقنى.

تبسم العجوز وهو يقول بهدوء:
_جربني إذن!

أخذ مصعب نفسًا عميقًا ثم أخرجه ببطئ وبدأ يقص على الرجل قصته كاملة وكلما أضاف شيئًا في حديثه يرتفع حاجبي العجوز وتتسع عيناه من شدة الدهشة وعدم التصديق، فرغ مصعب من الحديث وهو يزفر بإرتياح وكأنه أزاح جبلاً كبيراً عن صدره، أخذ العجوز يمسح على لحيته البيضاء الطويلة وقال بشرود:
_ قصتك هذه غريبةٌ حقًا ويصعب على أي أحد تصديقها، ولكن ربما أعرف شخصًا بإستطاعته تفسير ما حدث معك!

أقترب مصعب من الرجل وقال متلهفًا :
_ خذني إليه رجاءً فأنا بحاجة لتفسير كل هذه الأحداث الغريبة، وربما يعرف طريقة لأعود بها إلى دياري.

_تحلى بالصبر يا بني فالجميع نيامٌ الآن غدًا بإذن الله سأخذك إليه.

هزّ رأسه موافقًا ثم قال وكأنه تذكر شيئًا ما :
_ صحيح من أين تأتي رائحة الدماء التي ما زلت أشمها إلى الآن؟!

_ لا تقلق ستعتاد على تلك الرائحة كما أعتدنا نحن عليها، فهذه الرائحة معروفة بها مدينتنا!

غضن مصعب حاجبيه ثم قال بعدم فهم :
_ تقصد أن رائحة الدماء هذه سببها مكونات التربة في مدينتكم مثل رائحة كوكب المشتري الذي له رائحة مثل رائحة الأمونيا؟

ظهرت علامات الاستفهام على وجه العجوز ثم أجابه وهو ينظر إليه بتعجب قائلاً:
_ لا أعرف عمَ تتحدث وماذا تقصد بحديثك المبهم هذا؛ ولكن هذه الرائحة توجد هنا منذ عدة أعوام مضت!

رفع مصعب حاجبيه مندهشاً مما قاله الرجل ثم قال وهو يشير إلى الخارج :

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

_ والظلام الغريب الذي يملأ المكان ما سببه، ومتى ستشرق الشمس؟

صدمه العجوز وهو يقول بإيجاز:
_هنا لا تشرق الشمس!

جحظت عينا مصعب وصاح بإندهاش :
_ماذا؟

أومأ الأخير موافقاً وقال مؤكدًا :
_أجل، كما سمعت وهذا طبيعي لأنك في "ديجوريا" مدينة الظلم الظلام!

_مدينة ماذا، أنا لم أعد أفهم شيءٍ على الإطلاق!

تنهد العجوز بتعب ثم أخذ يحكي قصة مدينته، مدينة يحكمها ملكٌ ظالم يُدعى "نُعمان" لا يرحم أحد أذاق وما زال يذق شعبه كل أنواع الذل والعذاب وحتى أُسرته المسكينه لم تسلم من شره، كان لهذا الملك

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

زوجة طيبة للغاية وهي الملكة "فردوس" كانت تحب الناس وتساعد من حولها تعطف على الفقير وترحم الضعيف أنجبت الملكة صبياً اسمته " تيم " وبعد مولده بعامين وُلدت الأميرة "أريس" مرت السنين وأصبح الأمير في التاسعة وهنا لاحظ الملك تأثر الأمير بوالدته الملكة بشكلٍ كبير، لذلك أمر الملك بحبس الملكة والأميرة الصغيرة في سجن القلعة التي في الجبل وتولى هو مهمة تربية الأمير "تيم" كي يصبح ملكاً غليظا وقاسيًا ويتخلى عن طيبة القلب التي لديه، كبر الأمير واصبح شابًا يافعًا ووسيمًا، لكنه ومع كل ما علمه له والده الملك لم يعمل بأي شئ منه، وضرب بكل تعاليمه عرض الحائط واحتفظ هو بما علمته له والدته الملكة، غضب الملك "نُعمان" غضبًا شديدًا فهو يرى أن الطيبة ورِقة القلب التي لدى الأمير دليلٌ على ضعفه أما هو فيريد ملكًا قويًا يحكم المدينة من بعده، وقد قال الكثير أن الأمير لم يكن يعامل معاملة الأمراء بل كان يعامل معاملة قاسية من الملك، حتى أنه كثيراً ما يتسلل خلسة ويذهب لمقابلة والدته الملكة وأخته في السجن وعندما علم الملك بذلك جلد الأمير بوحشية، وهنا قام الملك بتهديد ابنه إن لم يتغير ويصبح كما يريده هو فسوف يقتله، وهذا تحديدًا ما فعله الملك "مأمون" والد الملك "نُعمان" من قبل، فقد هدده إن لم يكن جبارًا فسوف يذبحه والملك "نُعمان" أطاع والده خوفًا على نفسه من الذبح

وأصبح طاغية لا يستطيع أن يقف في وجهه أحد، وأول من استخدم نُعمان ظلمه عليه كان والده الملك فقام بذبحه بنفسه!

شهق مصعب بفزع وهو يهتف بصدمة:
_ذبح والده؟

أومأ العجوز موافقًا وأجاب بتهكم:
_لعلَ والده الملك "مأمون" فخور به الآن، لإنه قام بتطبيق كل ما علمه له منذ صغره فأصبح هو أول ضحاياه!

هز معصب رأسه بعدم تصديق وغمغم بدهشه:
_ولكن ليس لدرجة ذبح والده حسبتُ أنك ستقول أن "نُعمان" قام بسجن والده الملك كما فعل بالملكة والأميرة.. وماذا فعل الأمير، هل تغير بعد تهديدات الملك له؟

_لا، لم ينصت الأمير ولا لتهديد واحد من تهديدات والده وهو يعلم جيدًا أن الملك سينفذ تهديداته لا محاله، ورغم ذلك فضّل الموت على أن يتخلى عن فطرته السليمة، وأخيرًا قام الملك بتنفيذ تهديده وذبح

الأمير مثلما فعل مع والده من قبل.

_حتى ابنه؟

رفع العجوز كتفيه وقال بتلقائية:
_إن استطاع أن يذبح والده فما الذي يمنعه من ذبح ابنه؟

رمش مصعب بعينيه وعقله يرفض تصديق الشئ الذي سمعه للتو، فقال معترضاً وقد غلت الدماء في عروقه:
_لكن هذا ابنه، ظننتُ أنه يقوم بتهديده فقط!

_نُعمان يهدد وينفذ تهديده، وهذا شئ يعرفه الجميع هو ليس لديه عزيز، ذبح ابنه بنفسه في ساحة المدينة وأمام أعين الناس كي يعلموا أنه من يخالف الملك فإن نهايته ستكون مثل نهاية الأمير وبعدها أمر برمي جثته في الغابة لتأكلها الوحوش، وبعد ذبح الأمير بلحظات قليلة إختفت الشمس وحلّ محلها هذا الظلام ولم نرى الشمس منذ ذلك الحين، ودماء الأمير ظلت موجودة في مكانها ولم تجف إلى وقتنا هذا بل ظلت محافظة على حالتها السائلة وكأنه ذُبح للتو، ورائحه الدماء

التي شممتها أنت عندما دخلت المدينة كانت رائحه دماء الأمير!

مسح مصعب وجهه بتعب وقد شُل عقله عن التفكير والاستيعاب تماماً وهو يردد بذهول:
_ أيعقل هذا، كيف لأبٍ أن يذبح والده وابنه هكذا كيف، أي قلب لدى هذا الرجل؟

هز العجوز رأسه بالنفي قائلاً :
_إنه لا يملك قلبًا من الأساس!

صمت مصعب هنيهة ورفع رأسه وكأنه تذكر شيئاً ما:
_و ماذا عن الملكة والأميرة مالذي حدث لهما؟

أجابه الرجل بحزن:
_جاءنا خبر موتهما بعد حادثة ذبح الأمير، فعندما توقف الأمير عن زيارة والدته سألوا عنه فعلموا بأمر ذبحه، لم يتحملوا الخبر المؤلم فماتوا.

_ و ماذا فعلوا أهل المدينة؟

مط العجوز فمه ورفع كلا كتفيه وهو يعود إلى الوراء مستنداً على ظهر المقعد الخشبي وأجابه بتلقائية:
_ماذا فعلوا برأيك؟ لقد ألجمهم الخوف، فالرجل الذي يذبح والده وابنه ويسجن زوجته وابنته دون أن يرف له طرف يستطيع أن يفعل بمن يعترضه أكثر من ذلك!

أمسك مصعب رأسه بيده وهو يقول بعدم تصديق :
_لا استطيع أن أصدق هذا، مالذي جاء بي إلى هذا المكان؟!

ربت العجوز على كتف مصعب وقد أشفق على حاله كثيراً:
_هون عليك يا مصعب فأنا أثق أن كل شيءٍ سيتغير وسيأخذ هذا الظالم عقابه عاجلاً أو آجلاً، والآن تعال لآخذك حتى ترتاح قليلاً فأنت تبدو متعبًا للغاية .

أومأ مصعب موافقاً ونهض معه ثم دخلا إلى غرفة صغيرة إلى حدٍ ما بها فراش بسيط وصندوق خشبي لوضع الثياب والأغراض، وطاولة صغيرة بجانب الفراش، أشار العجوز إلى الغرفة وقال باسمًا :

_تفضل هذه غرفتك أعلم أنها صغيرة وليست جميلة، ولكن هذا مالدي يا بني.

إلتفت مصعب نحوه وأقترب منه مربتاً على كتف الرجل ثم قال بإمتنان:

_لا تقل هذا سيدي، يكفي أنك استقبلتني فى بيتك ورضيت لي بالمبيت عندك، ولكن هناك شئ لم أفهمه كيف تميزون بين الصباح والمساء وبين مواقيت الصلاة أم أن أهل هذه المدينة يتبعون دينًا غير الإسلام؟

_ نحن منا المسلمون و منا دون ذلك، وأنا مسلمٌ والحمدلله، أما عن كيفية تميزنا بين الصباح والمساء فهذا نعرفه عندما يُقرع جرس البرج فعندما حلّ الظلام على المدينة إجتمع كبير الحكماء مع الوزير والعلماء وبالأخير اجمعوا على قرار وهو بناء برٍج هنا في المدينة وباقي القرى التابعة لها وعلى قمة البرج يوجد جرسٌ كبيرٌ للغاية؛

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

بمجرد إقتراب موعد طلوع الفجر يُقرع الجرس فيستيقظ الناس وبعد لحظات ينادي المنادى للصلاة، ومن ثم يذهب كل فردٍ إلى عمله أما كيف نعرف الوقت بالتحديد فهذه مهمة علماء الفلك الذين يقومون بحساب عدد ساعات اليوم وبهذا يحددون مواقيت الصلاة والصباح والمساء.

رفع حاجبيه بإعجاب وهو يقول بتفكير :
_أمرٌ عجيب حقًا، وقرار كبير الحكماء صائبٌ وفي محله، ترى هل الظلام الذي يعم المدينة أصاب باقي المدن والممالك المجاورة؟

أخرج العجوز غطاءً كبيراً من الصندوق الخشبي ووضعه على الفراش وهو يجيبه:
_كلا، الظلام أصاب مدينتنا والقرى التابعة لها فقط.

جلس مصعب على طرف الفراش وقال بعد تفكير:
_ إذا كان الأمر هكذا فلمَ لم تحاولوا الخروج من هنا و ترك هذا الظلام؟

إرتسمت ابتسامة واهنه على ثغر العجوز ليجيبه بهدوء:
_ وهل تظن أننا لم نجرب ذلك الأمر، لقد حاول كثيرٌ من سكان المدينة الفرار من هنا ولكنهم لم يستطيعوا ذلك لأن هناك طاقة غريبة تحيط بالبوابات تصدهم وتمنعهم من إختراقها، ولكن بإستطاعة سكان المدن الأخرى الدخول إلى المدينة بسهولة فإن دخلوها لن يستطيعوا الخروج منها أبدًا!

إنفلتت شهقة من مصعب ثم هتف بهلع:
_ هل تقصد أنني لن أخرج من هذا المكان ولن أعود إلى دياري؟

_الأمر مختلفٌ معك، فأنت لست من سكان مدينتنا ولم تأتي إلى هنا من البوابة، على كلٍ سنعرف كل شئ عندما يأتي الصباح وآخذك إلى ذلك الشخص الذي أخبرتك عنه، وربما يستطيع أن يساعدك في أمر العودة.

_ أتمنى ذلك حقًا .

قالها بهدوء ثم رفع رأسه ونظر إلى العجوز:
_صحيح سيدي أنا لهذه اللحظة لا أعرف ما اسمك؟

أجابه الرجل باسمًا :
_اسمي رضوان

_ ياله من اسمٍ جميل

تبسم رضوان بهدوء وهو يهز رأسه قبل أن يقول وهو يهم بالإنصراف:
_أشكرك بني، هيا حاول أن تنام وعندما يأتي الصباح سأوقظك.

_حسنًا.

■ ■ ■

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

٤

جاء صباح يوم جديد محملاً بالكثير والكثير من الأحداث والمفاجأت لصاحب أكبر حظٍ تعس، من غيره صاحب الفضول القاتل الذي أوقعه في هذا المكان وهو لا يعرف أي شئ مما يحدث حوله، كان صباحًا عاديًا لسكان المدينة وما حولها فقد إعتادوا على الأمر، لكنه بالطبع كان مختلفًا عن أى صباح يعرفه مصعب فلا شمس ولا عصافير ولا أي شئ من ذا القبيل!

دخل رضوان إلى الغرفه ثم أقترب من ذلك النائم وأخذ يهزه برفق، قائلاً بهدوء :

_ بني استيقظ .

مد مصعب يده ليشد اللحاف الخشن عليه وهو يقول بنعاس:

_أتركيني أنم يا أمي .

قهقه رضوان قائلاً بإصرار:

_هيا أنهض يا فتى .

أنزل اللحاف من على وجهه ونظر إلى رضوان بعين نصف مفتوحه وقال بصوتٍ متحشرج:
_سيد رضوان أنت هنا؟ هذا يعني أنني لم أكن أحلم، صباح الخير سيدي.

ابتسم رضوان بحنو ثم قال وهو يهم بمغادرة الغرفة:
_ صباح الخير بني، لقد أيقظتك لصلاة الفجر ولكنك لم ترد أن تستيقظ، هيا قم وتوضأ لتؤدي فرضك ثم تعال لنتناول الطعام سويًا .

نهض مصعب بتكاسل وهو يمسك ظهره بتألم فقد كان الفراشُ قاسيًا بعض الشئ وليس مريحًا كفِراشه، خرج إلى الردهة فأشار له رضوان إلى غرفة جانبية، وأخبره أن يذهب ويتوضأ فيها، ذهب مصعب فوجدها غرفة صغيرة نسبيًا وبها دلو من النحاس به ماء دافئ وكوبٌ معدني إغتسل ثم توضأ وأدى صلاته ليعود ويجد رضوان يجلس أمام الطاولة بإنتظاره، جلس على المقعد المقابل له وقال وهو ينظر إلى الطعام الذي أمامه بريبة:
_ما هذا الطعام و لمَ يبدو غريبًا هكذا؟

لم يكن مصعب يبالغ في ردة فعله فقد كان الطعام يبدو غريب الشكل حقًا ولم يتعرف على شئ فيه سوى الكوب النحاسي الذي يمتلئ بالحليب ليتابع حديثه بتهكم واضح :

_و لمَ أنا مندهش هكذا يفترض بي أن اكون قد إعتدت على الأشياء الغريبة هنا!

تبسم رضوان ضاحكًا من حديثه ثم قال وهو يشير إلى الطعام:

_هيا تناول فطورك ولا تقلق إنه لذيذ .

نظر إليه مصعب بقلق ثم مد يده وامسك بالملعقة المعدنية وأخرج بها طعامًا يشبه العصيدة من الإناء الفخاري ثم وضعه في فمه بحذر شديد وهو مغمض العينين، لحظات وفتح عينيه وهو يمضغ الطعام قائلاً بتلذذ :

_إنه ليس بهذا السوء الذي كنت اتوقعه!

ضحك رضوان من تصرفات هذا الفتى الصبيانية وقال بتوكيد:

_ألم أخبرك بذلك، هيا أكمل طعامك.

_أخبرنى يا سيدي هل تعيش هنا بمفردك ؟

أومأ رضوان موافقاً ثم قال بحزن:
_كان لي زوجه وطفلة.

_و أين هم الآن؟

_ماتوا، كان عمر طفلتي سبع سنوات عندما أصابها مرضٌ عجز الأطباء عن تشخيصه وماتت، ثم أصيبت زوجتى بالمرض نفسه وماتت هي الأخرى وبقيت أنا بمفردى، لو كانت طفلتي هنا لكانت في مثل عمرك تقريباً.

نكس مصعب رأسه بحزن لحال هذا العجوز وقال بأسى:
_يؤسفني ما حدث مع أسرتك، وأعتذر عن سؤالي.

_لاعليك، هيا أكمل فطورك، حتى نذهب إلى ذلك الشخص الذي أخبرتك عنه بالأمس.

هز الأخير رأسه بإيجاب وتابع تناول طعامه، ثم لحظات ونهض وهو يمسح فمه:
_أجل أذكر ذلك هيا لقد أنهيت طعامي.

تمعن رضوان النظر في ثياب مصعب ثم أوقفه وهو يشير نحوها :
_يجب أن تغير هذه الثياب!

نظر مصعب إلى منامته الزرقاء التي كان لا يزال يرتديها فهو لم يفكر لحظة في الذهاب وتبديل ثيابه عندما رأى طريقة فتح الباب، كل ما كان يشغله حينها هو أن يذهب إلى القبو ويتأكد مما رآه في منامه، رفع رأسه نحو رضوان وقال بحزم:
_وما بها ثيابي، لا لن أغيرها!

تنهد العجوز بقلة حيلة وقد فهم أن ذلك الشاب الذي أمامه هو المادة الخام للعند وصلابة الرأس ولن يستطيع هو أن يغير له رأيه مهما فعل لذلك قرر عدم مجادلته أكثر وهز كلا كتفيه بإستسلام :
_كما تريد..

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

اعطاه رضوان نعلاً جلدياً يرتديه، ثم عدّل ثيابه وأرتدى عمامة سوداء وخرجوا من البيت كانت الشوارع مضاءة بالمصابيح الزيتيه الكبيرة والمشاعل وكأنها مضاءة بالأعمدة الكهربائية، وضع مصعب يده على أنفه وهو ينظر إلى رضوان الذي قال باسمًا:

_لقد قلت لك ستعتاد على هذه الرائحه كما إعتدنا نحن!

إزدحمت الشوارع بالنساء والرجال والأطفال الذين يركضون ويلعبون هنا وهناك دار حوله في المكان ليلفت إنتباهه تلك المتاجر التى اصطفت على الجانبين فهذا حانوت يبيع الأواني الفخارية والمعدنية، وآخر يبع الأقمشة والمنسوجات، وهذا إسكافي يقوم بخياطة الأحذية الجلدية، وهذا مخبز، وهذا متجر يبيع الفاكهة والخضراوات، يتعاملون وكأنهم قد إعتادوا على هذا الظلام وتلك الحياة الغريبة، فمن يصدق أنهم الآن فى وضح النهار ويفترض أن تكون أشعة الشمس تملأ المكان، إنعقد حاجبيه وهو يتأمل الناس وثيابهم الغريبة التى يرتدونها وكأنه عاد إلى منطقة الجزيرة العربية في فجر الإسلام!
فالرجال يرتدون ثيابًا كالتى يرتديها رضوان قميصٌ طويل يصل إلى ما بعد الركبتين وتحته سروال فضفاض وعليه عباءة فضفاضة ويلتف حول الخصر حزامٌ من القماش والعمامة الكبيرة؛ كان هذا بالنسبه

للكبار أما الشباب فكانوا يرتدون قمصان قطنيه بدون أكمام تظهر عضلات أذرعهم القوية وسروال طويل، والنساء والفتيات ترتدين ثيابًا طويلة ذات أكمام واسعة تضيق عند الخصر ثم تنزل بإتساع إلى أسفل ويغطون رؤسهم بشال طويل من الحرير ثبت عليه بعض الحلي المصنوعة من الفضة أو الذهب، ظل مصعب يحملق فيهم بإندهاش، ثم نظر إلى ثيابه فبدا هو الغريب بينهم بمنامته الزرقاء وشعره الطويل الأشعث، مروا أمام مكان واسع ينتشر فيه رجال يرتدون ثيابًا سوداء وعلى ظهورهم تتدلى أوشحه طويله تتطاير في الهواء عند تحركهم يغطون رؤسهم بالعمائم السوداء ويثبتون أغمدة سيوفهم على الحزام الجلدي المحيط بخصرهم، إلتفت رضوان نحو مصعب وأمره بأن يحني رأسه ويغطي وجهه بيده، ففعل الآخير ما طلبه منه حتى أصبحوا بعيدين عن المكان ليقول:

_ يمكنك أن ترفع رأسك الآن؟

_ لماذا طلبت مني أن أحني رأسي، ولمَ هؤلاء الرجال منتشرون فى ذلك المكان؟

_إنهم جنود الملك وذلك المكان هو ساحة المدينه أي أنه مكان مذبحة الأمير وهناك توجد دماءه.

غضن مصعب حاجبيه وراح يسأل بفضول مجدداً:
_ولم الجنود يحرسون ذلك المكان؟

_هناك توجد دماء الأمير التي لم تجف حتى الآن، ويخاف الملك أن يأتي أحد السحرة ويأخذ من تلك الدماء ويحضر روح الأمير فتعود لتنتقم من الملك!

توقف مصعب عن السير ونظر إلى رضوان لبرهة قبل أن يقول بعدم تصديق:
_وهل هذا شئ يصدقه عقل؟!

وقف رضوان وألتفت نحوه ثم عقد ذراعيه أمامه قبل أن يقول بجدية:
_وهل وجودك هنا في مكانٍ كهذا شئ يصدقه عقل، أنت في ديجوريا أي أن كل ما يخالف العقل والمنطق يمكن أن يحدث!

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

ألجمه رد رضوان الذي بدا منطقياً فلم يعد يجد ما يقوله فهزّ رأسه متفهمًا ثم تابعوا سيرهما حتى وصلوا إلى بيتٍ قديم في معزلٍ عن باقي بيوت المدينة طرق رضوان الباب المتهالك، لحظات وفُتح الباب لتطل منه إمرأة عجوز، قصيرة القامة ذات بشرة سمراء تملأها التجاعيد، إرتفع حاجبيها الرماديين وهي تنظر إلى مصعب بصدمة، ليتنحنح رضوان قائلاً :

_كيف حالك يا سندس؟

أجابته العجوز وهي ما زالت تنظر إلى مصعب وقد رُسم على وجهها المجعد علامات الدهشه وعدم التصديق:

_بخيرٍ يا رضوان..

_نريد أن نتحدث معكِ قليلاً..

أفسحت لهم المجال وهى تشير إلى الداخل:

_تفضلوا بالدخول

دخلوا إلى البيت فتركت سندس الباب نصف مفتوح، فجلس مصعب بجانب رضوان وهو يحاول الهرب من نظرات العجوز التي لو كانت نارًا لأحرقته وحولته إلى كومة رماد على الفور، دار بعينيه في المكان يتأمله ليرتفع حاجبيه وهو يرى جماجم وشموع سوداء وبعض القدور الكبيرة السوداء، وفي أحد الأركان وعلى لوح خشبي تقف بومة رمادية تنعق بصوتٍ خافت من حين لآخر، لم يكن بحاجة لأن يستخدم ذكائه ليعرف أن صاحبه المكان ساحرة؛ إنتبه إلى صوتها القوي رغم كبر سنها وهي تحدث رضوان :

_مالشئ الذي تريد أن تحدثنى فيه يا رضوان؟

إلتفت نحوها مصعب وقال بنزق :

_إنها مشكلتي أنا سيدتي وسيد رضوان أخبرني بأنكِ الشخص الوحيد الذي يمكنه تفسير ما حدث معي!

_ومالذي حدث معك؟

تبادل مصعب النظرات مع رضوان الذي هز رأسه موافقًا، فأخذ مصعب يقص عليها كل ما حدث معه، لتسأله سندس بعد إنتهائه :

_كم عمرك الآن يا مصعب؟

_ثمانية وعشرون عامًا

صمتت قليلاً ثم قالت بعد تفكير دام للحظات :
_هذا يفسر الكثير!

نظر إليها رضوان وقال مستفهمًا :
_توقفي عن التحدث بالألغاز وأخبرينا فيما تفكرين.

_صبرًا يا رضوان سأخبركم، يقول مصعب أن الباب ظهر في اليوم نفسه الذي ولد فيه، وعمر مصعب الآن ثمانية وعشرون عامًا، وحادثة ذبح الأمير كانت منذ ثمانية وعشرون عامًا أيضاً، بمعنى أن اليوم الذي ذُبح فيه الأمير هو اليوم نفسه الذي ولد فيه مصعب، ورائحة الدماء التي اشتممها مصعب على الباب لم يذكر جده عنها شيئاً في رسالته وأيضًا رؤيته لطريقة فتح الباب في منامه لم يرها جده، هذا يعني أن مصعب هو المقصود بكل هذا!

تكلم مصعب وقال بعدم فهم :
_ولكن هناك الكثيرون ولدوا في نفس اليوم الذي ولدت فيه فلماذا أنا تحديدًا؟

نظرت سندس إلى رضوان وسألته :
_ألم تخبره بعد يا رضوان؟

هزّ رضوان رأسه بالنفي فقال مصعب مستفهمًا:
_مالذي لم يخبرني به السيد رضوان؟

إرتسمت ملامح الحزن على وجه سندس وقالت:
_لم يخبرك أنك تشبه الأمير كثيرًا، فعندما رأيتك لم أكن أصدق عيناي فقد ظننت أن الأمير "تيم" قد عاد للحياة ويقف أمامي بقامته الطويله وبنيته القوية والعيون الرمادية، وشعره الأسود الطويل، وكأنك هو!

هز رضوان رأسه مؤكدًا على ما قالته سندس فأضاف قائلاً:
_هذا ما حدث معي أيضاً عندما رأيتك ليلة أمس وأنت تقف على باب داري، ولهذا السبب طلبت منك أن تحني رأسك وتخبئ وجهك عندما

مررنا أمام الجنود، فقد يكون هناك أحد يتعرف عليك!

شعر مصعب بالتخبط وهو يستمع إلى حديثهما، كيف يكون يشبه الأمير الذي سمع قصته المأساوية من رضوان بالأمس، وإن كان يشبهه حقًا فهل هذا سببٌ كافي لحدوث كل تلك الأشياء معه، أتاه صوت رضوان هو يسأل سندس في حيرة :
_ولكن من الذي أظهر الباب في بيت جد مصعب؟

نظرت سندس أمامها بشرود وتمتمت بنبرة غامضة :
_ صخر!

نظر إليهم مصعب وقال بعدم فهم :
_ ومن يكون صخر هذا الآن؟

إلتفتت إليه سندس لتجيبه بهدوء:
_إنه المعلم وكبير الحكماء فليس هناك أحدٌ يستطيع إختراق العوالم والأبعاد غيره، وأنا على يقين بأنه هو من قام بإظهار هذا الباب وهو من جعلك ترى طريقة فتحه في منامك.

_ولكن لماذا أنا، ومالذي يمكنني فعله؟

أرسلت العجوز تنهيدة طويلة لتقول بعدم فهم :
_لست أدري يا ولدي، ولكني أعدك أنني سأذهب إلى صخر وأعرف منه كل شئ.

■ ■ ■

٥

خرجوا من بيت سندس وكأن على رؤسهم الطير من الصمت، فيبدو أن الأمر ليس بهذه البساطة وأن هناك تعقيدات كبيرة، أخذ مصعب يفكر فيما قالته تلك العجوز هل يعني هذا أن دخوله إلى هذا العالم لم يكن مصادفه وكان مخططٌ له من قبل، وبقي سؤال واحد يدور في رأسه " لماذا هو ؟ "

زفر بضيق وهو يشعر بالإختناق الشديد وقله الحيلة، إنتبه إلى تلك الأصوات العالية فرفع رأسه ليجد تجمع كبير من الناس إخترقهم مصعب وأقترب أكثر ليجد إمرأة فى عمر والدته تقريبًا تبكي بتوسل وهي تمسك بحذاء الجندي قائلة برجاء:

_أتوسل إليكم هذه إبنتى الوحيده لا تأخذوها.

دفعها الجندي بقدمه على الأرض بقسوة وهتف فيها بغلظة:

_هل جننتي يا أمرأة إنها أوامر الملك نُعمان ووزيره ولقد إنتهى الأمر، ابنتك سوف تأتي لتكون جارية في قصر الملك.

كان مصعب على وشك الذهاب إلى الجندي فأمسكه رضوان من ذراعه قائلاً :
_لا دخل لنا بما يحدث ولا تقحم نفسك في المشاكل أنسيت أنك تشبه الأمير ولو رأك الملك أو أحد أتباعه لن يترددوا في قتلك!

_لا يهمني كل هذا، ما أريده الآن أن أنقذ تلك الفتاه ألم تسمع ما قاله سيأخذها لتكون جارية أيعقل هذا؟

_يا بني استمع لما أقول إنك لن تستطيع الوقوف أمامهم بمفردك .

هز رأسه بالنفي ثم أشار إلى من حوله وهتف بإصرار:
_لست بمفردي الناس سيساعدونني..

أجابه رضوان بتهكم وهو ما زال يضغط على ذراع مصعب بقوة :
_يساعدونك؟! لا لن يساعدك أحد لو كانوا يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً لفعلوه منذ زمن .

أصر مصعب على ما ينوي فعله فلم يعر لكلام رضوان أي إهتمام، فنزع ذراعه من يد العجوز وقد غلبت عليه حميته، ليقف خلف الجندي وهو يقول بحزم:

_اتركها!

سارت الهمهمات بين الناس والدهشة تعلو وجوههم، فمن هذا الذي فقد عقله ليقدم على فعل متهور كهذا، إلتفت الجندي نحوه وراح يتفحصه من رأسه حتى أخمص قدميه، ثم صاح فيه بغضب هادر وقد ظن أنه يتوهم :

_ماذا قلت أيها المعتوه؟

_قلت أتركها ألم تسمعني؟

رفع الجندي حاجبيه وقال بتحدي:

_وإن لم أفعل؟

رفع مصعب يداه أمامه ثم قال بهدوء :
_اسمعني أنا لا أريد أن أفتعل المشاكل مع أحد أتركها تذهب وحسب.

ترك الجندي الفتاه ودفعها بعيداً وأخذ مصعب من تلابيبه وقال بغلظة:
_لقد إفتعلتها منذ اللحظة التي عارضت فيها أوامر الملك أيها الأحمق.

ثم نظر إلى ثياب مصعب وشعره ليتابع بتهكم:
_من أي قصة خرافيه جئت أيها الفتى وما هذه الثياب الغريبة التي ترتديها، أكبر خطأ إرتكبته في حياتك هو معارضتك لأوامر ملكنا ووزيره وهذا الخطأ لا يمكن التغاضي عنه.

تقدم رضوان الذي كان يتابع النقاش بهلع وقلبه اوشك على التوقف من فرط الرعب، وهو يقسم أن نهاية مصعب ستكون على يدِ الملك إن لم تكن على يدِ وزيره القاسي؛ إقترب منهم مسرعاً ووقف بجانب مصعب وهو يقول بتوسل :
_معذرة سيدي إنه غريب ولا يعرف القوانين هنا .

صاح الجندي قائلاً بغلظه وهو يلكز رضوان في صدره بقوه جعلته يسعل بشدة :

_وهل تعرفه أنت أيها العجوز؟

شعر مصعب بالرعب من أن يصيب العجوز المسكين أي مكروه بسببه فهتف مسرعًا وهو ينظر إلى رضوان بقلق :

_لا يعرفني ولا حتى أعرفه .

اشاح الجندي بنظره بعيداً عن رضوان الذي أسنده أحد معارفه وابعده عن المكان، ضرب الجندي بقبضته القاسيه في ظهر مصعب ليتحرك أمامه وهو يقول:

_حسنًا تعال معنا وبما أنك غريبٌ سنستضيفك معنا في القصر هذه الفترة.

■ ■ ■

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

لكل شئ ثمن، وثمن الشجاعه المفرطة في مجتمع إعتاد أهله على الصمت هو أن تعامل معاملة الخارجين عن القانون، وكأن لا يسمح لنور الحق أن يسطع في بلد الظلم والظلام!

في غرفة واسعة ذات أثاثٍ فاخر مكونه من فراش وثير ذو أعمدة مطلية بالذهب وفي أحد أركان الغرفة تقف مكتبة ضخمة وبجانبها يمكث مكتبٌ خشبي كبير؛ إنتظر الجندي خارج الغرفة حتى خرج له الحارس وأشار له بالدخول، عدّل من هيئته وجر مصعب خلفه كالمتهم ووقفا أمام رجلٌ فارع الطول صاحب بنية ضخمة مولياً ظهره إليهما وهو ينظر إلى النافذة الكبيرة، ثوان معدودة وألتفت نحوهما بكامل جسده لتظهر ملامح وجهه القاسية بشكل واضح ويظهر معها عمره الذي يبدو أنه في الأربعين على وجه التقريب، كان يرتدي ثيابًا سوداء مثل باقي الجنود ولكنها أكثر فخامة منهم بسبب منصبه كوزير وذراع الملك نُعمان اليمنى بل إن الملك لا يفعل شيئًا دون اللجوء إليه، تفحص الأخير مصعب الذي كان ينظر إلى الأرض بضيق ومالبث أن إتسعت عيناه وقال محدثا نفسه:

_لا أصدق ما أراه الآن إنه يشبه الأمير تيم إلى حدٍ كبير وكأنه هو؟

حاول أن لا يظهر دهشته فرسم الصرامة على وجهه وقال بصوته الغليظ عاقدًا ذراعيه خلف ظهره وهو يدور حول مصعب متفحصًا إياه:

_ما هي جريمتك أيها الشاب ؟!

تكلم الجندي قائلاً بصوت جهوري:

_لقد عارض أوامر الملك يا سيدي

_كيف ؟

_كنا في السوق لنحضر الجواري كما أمرتنا؛ وهو أعترض طريقنا ومنعنا من ذلك .

إحتقنت الدماء في عروق الوزير فمد يده وأمسكه من ثيابه وهتف فيه بغضبٍ :

_هل جننت أيها الأحمق لم يتجر أحدٌ على معارضة أوامر الملك أبدًا لتأتي أنت وتفعل ذلك، ومن أين أنت أيها الفتى، لا أظن أنك من

مدينتنا؟

لم يتفوه مصعب ولا بحرفٍ واحد وظلَ محتفظًا بصمته مما أثار ضيق الوزير فأفلته قالاً بلهجة آمرة:
_ضعوه في سجن منعزل ولا أحد يخبر الملك بشأنه أنا سأقوم بذلك.

إنحنى الجندى قائلاً بإحترام:
_أمرك سيدي

قالها ثم إعتدل واقفاً ودفع مصعب بغلظة ليسير معه، فجلس الوزير رعد على كرسيه وغمغم بعدم تصديق:
_أيعقل إثنان من الأمير تيم؟!

■ ■ ■

في زنزانه مظلمة ذات رطوبة قاتلة والرائحة الكريهة المنبعثة منها، صاح الجندي وهو يجلد مصعب بوحشية حتى تمزق جلده وأخذ في النزيف دون توقف:

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

_تتحداني أنا أمام الناس أيها المعتوه؟ تريد أن تكون بطلاً في أعينهم؟ حسنًا سأجعل من تحديك هذا آخر شئ تفعله في حياتك!

كتم مصعب آلامه وأغمض عينيه بوهن وهو يدعو بداخله أن يكون كل هذا مجرد كابوس ويستيقظ منه في أي لحظة، غضب الجندي من صمته وقوة تحمله، هو يريده أن يبكي، أن يصرخ، أن يتذلل له ويتوسله ليتوقف عن تعذيبه؛ لكنه بقي صامداً كاتماً ألامه ومعاناته، مما جعل الجندي يزيد من جلده أكثر!

كان باب الزنزانه شبه مفتوحٍ عندما دخل منه رجلُ يرتدي ثيابًا تشبه ثياب الوزير وقف خلف الجندي وأطبق بقوة على يده الممسكه بالسوط وصاح فيه بغضب هادر جعل الجندي يتسمر في مكانه:
_مالذي تفعله أيها الجندي؟

إتسعت حدقتا الجندي وتجمدت الدماء في أطرافه ليتمتم بإرتباك:
_سـ.. سيدي رئيس السجن!

قال الرجل وهو يجز على أسنانه بغيظ والشرر يتطاير من عينيه:
_سألتك مالذي تفعله أيها الجندي؟

_إإنها أوامر الوزير رعد!

غضن الرجل حاجبيه ونظر إليه مردداً:
_الوزير رعد!

ثم حول نظره إلى مصعب الذي كان في حالة يرثى لها والدماء التي تسيل من جروحه بلا توقف، فقال بهدوء موجهًا حديثه إلى الجندي :
_أخرج!

حملق فيه الجندي لبرهة وقال مشدوهًا:
_ماذا؟

صاح فيه الرجل بغضبٍ:
_قلت لك أخرج.

هرب الجندي مسرعاً من أمام رئيس السجن قبل أن يفتك به، فإقترب الرجل من مصعب ومدّ يده يفكّ يدان مصعب المقيدتان بالسلاسل ثم أنزله برفق على الأرض ليتأوه بشدة عندما لمست جروحه جدار السجن البارده نهض رئيس السجن وأحضر غطاء من الصوف ثم وضعه على ظهر مصعب وهو ينظر إليه بشفقه :

_أعتذر منك على كل ما فعله بك ذلك الجندي، وأعدك بأنه سينزل به أشد العقاب.. هل تريد شيئاً أحضره لك؟

هزّ مصعب رأسه بالنفي؛ فتابع الرجل قائلاً:

_برغم كل التعذيب الذي تلقيته إلا أنك لم تظهر ألمك وهذا بالطبع ما استفز الجندي ليزيد من ضربك اكثر وبكل هذه القسوة، من أين لك بكل هذه القوة يا رجل؟ لقد رأيت شخصًا مثلك تمامًا برغم أنه كان على حافة الموت إلا أنه بقي صامدًا ولم نرى الخوف على وجهه أبدًا هل تعرف من يكون؟

نظر إليه مصعب مستفهماً فتابع رئيس السجن بحزن قائلا:

_إنه الأمير تيم، هل تعلم أنك تشبهه كثيرًا؟

هزّ مصعب رأسه موافقًا وقال بهدوء:
_أعرف ذلك.

نهض رئيس السجن من جانبه وقال وهو يهم بالإنصراف:
_أواثقٌ من أنك لا تحتاج شيئًا؟

إبتسم مصعب بوهن وأجابه بإمتنان:
_ شكرًا على إهتمامك سيدي .

_ حسنًا أتركك لترتاح قليلاً، وساذهب أنا لأتابع عملي.

خرج رئيس السجن وأغلق باب الزنزانه خلفه، فرفع مصعب عيناه لأعلى وتنهد بتعب:
_ومن أين لي بالراحه، ليتني لم أكن اشبه ذلك الأمير وياليت الباب لم يظهر في بيت جدي ويالتني لم أكن فضوليًا هكذا لأعرف قصة الباب فضولي هذا سيكلفني الكثير ويمكن أن يكلفني حياتي أيضًا!

■ ■ ■

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

٦

فتح عينيه بتثاقل وما زال يشعر بآلام تغزوا جميع أنحاء جسده، مرت عليه بضع ثوانٍ محاولاً تذكر ما حدث معه وأين هو الآن أخذ يرمش بعينيه عدة مرات وهو ينظر حوله ليجد نفسه في مكان آخر غير تلك الزنزانة المخيفة التي كان بداخلها، دار بعينيه في المكان ليكتشف أنها غرفة صغيره الحجم لا يوجد بها أثاث كثير سوى الفراش البسيط الذي يرقد عليه وطاولة صغيرة بجانب باب الغرفة وضعت عليها بعض الأواني الفخارية وسراجًا كبيرًا معلقاً على بابها ليضيئها، أحس بأن هناك شئ يلتف حول جسده بإحكام فنظر إلى أسفل ليجده شاشاً يلف خصره وصدره، تنهد بتعب وهو يضغط على رأسه عله يستطيع تذكر كيف وصل إلى هذا المكان!

.

.

.

*في الزنزانة القابعة في قصر الملك نُعمان..

رفع رأسه عندما سمع صوت صرير باب زنزانته وهو يُفتح دقق

النظر ليتبين من القادم فلم يرى سوى ظل شخص طويل، إقترب منه فتبين له أنه يغطي وجهه بوشاح أسود لا يظهر منه سوى عينيه وخلفة شخص آخر ملثم أيضاً يمسك في يده مصباح متوسط، خفق قلبه هلعًا وأحس أن نهايته قد حانت وأنه على وشك الرحيل، إقترب منه ذلك الرجل ونزل على ركبتيه ثم وضع كفه على كتف مصعب ليعيق تحركه وباليد الأخرى غطى أنفه بقطعة قماش متوسطة حرك مصعب رأسه بعنف لإبعاد تلك القماشة ذات الرائحة النفاذة ولكن كان الأوان قد فات وسقط مغشيًا عليه..

***عودة إلى الوقت الحالي..**

هز مصعب رأسه بتعجب وهو يتسائل من كان هذان الرجلان ولمَ أخرجوه من تلك الزنزانة، قطع عليه تفكيره فتحُ باب الغرفة ليطل منه وجه العجوز رضوان الذي تهللت أسارير وجهه وهو يراه قد استيقظ فأقترب من فراشه وهتف بفرحة حقيقية:

_ وأخيرًا استيقظت، حمدًا لله على سلامتك.

اتسعت حدقتا مصعب من الصدمة وقال وهو يحاول النهوض :
_سيد رضوان، ولكن كيف وما هذا المكان؟ وكيف خرجت أنا من السجن؟

تقدم منه رضوان وساعده على الجلوس برفق ثم وضع خلف ظهره وسادة متوسطة وقال بهدوء :
_لا تجهد نفسك كثيرًا يا بني فأنت ما زلت متعب.

أصر عليه مصعب وهو يلح في طلبه:
_أخبرني رجاءً أين أنا وكيف استطعت الخروج من ذلك المكان؟

أجابة رضوان بإيجاز:
_أنت هنا منذ أربعة أيام!

_حقًا؟

_أجل يبدو أنك كنت متعبٌ للغاية..

أخفض مصعب رأسه ليجيب بحزن :
_صدقت فأنا جِد مُتعب وأريد العودة للديار فهذا المكان ليس مكاني.

طالعه العجوز قليلاً ثم قال بجدية:
_وماذا عن مهمتك انسيت أن هناك من استدعاك إلى هنا؟

تهكم مصعب وهو يقول:
_وهل صدّقت هذه الخرافات؟

أومأ رضوان موافقاً وأجاب بثقة :
_أجل صدّقت والمفترض أن تكون أنت اكثر من يصدق هذا الكلام، فأنت من ظهر له الباب فى بيت جده وأنت من رأى طريقة فتح الباب رغم أن جدك لم يستطع فعل ذلك .

نكس مصعب رأسه وهو يقول بتعب:
_ليتني لم أعرف طريقة فتحه ما كان لكل هذا أن يحدث من الأساس.

_ قدر الله وماشاء فعل يا ولدي، لا تقلق سنحاول أن نجد طريقة نعيدك بها إلى بيتك .

أومأ موافقًا ثم قال بعد لحظات من الصمت:
_صحيح من الذي جاء بي إلى هنا؟

رفع العجوز كتفيه وقال:
_لا أعرف .

_ماذا تقصد بلا أعرف؟

أخذ رضوان نفسًا ثم أخرجه ببطئ وبدأ يسرد ما حدث قبل أربعة أيام:
_عندما كنت في بيتي جاء أحدهم وطرق على الباب وعندما فتحته لأرى الطارق لم أجد أحدًا ولكني وجدت رساله ملقاة على الأرض امام الباب ومكتوب فيها أنه تم تهريبك من السجن ويجب أن اذهب إليك لأعتني بك، ومرفق مع الرسالة خريطة تبين الطريق لهذه القرية ومكان البيت.

عقد مصعب حاجبيه وقال بتفكير:
_من يكون يا ترى و لمَ ساعدني وهو لا يعرفني حتى؟

_ربما يكون شخص يكره الملك وأراد مساعدتك قبل أن يقتلك، ويبدو أنه يعرف انني أعرفك أيضًا، صحيح هل قابلته؟

_من؟

_من غيره الملك نُعمان!

أجابه مصعب ساخراً:
_لو كنت قابلته هل كنت سأكون معك الآن؟ لكنني قابلت وزيره، للحظة الأولى شعرت أني أقف أمام قاتل متسلسل، هذا الرجل لديه نظرة حادة ومخيفة .

هزّ رضوان رأسه موافقًا وهو يقول مؤكداً:
_الوزير "رعد"، إنه لا يقل شرًا وخبثاً عن ذلك الملك وكأن شر هذا العالم إجتمع في هذين الرجلين!

_أجل، فهو من أمر الجندي بجلدي هكذا ولولا رئيس السجن الذي جاء وخلّصني منه لكنت ميت الآن.

_هل قابلت "حسان" أيضًا؟ إنه شخصٌ طيب القلب لا يليق به أن يكون مع هؤلاء الوحوش والحمدلله أيضًا أن هناك من ساعدك على الهرب من ذلك الجحيم ولكن يجب أن نكون حذرين فمؤكد أنهم سيبحثون عنك فى كل مكان فليس من السهل الهرب من سجنهم، ليس هناك أحدٌ دخل ذلك السجن وخرج منه حيًا ماعداك بالطبع، أتركنا من هذا الحديث فهناك من يريد رؤيتك وكان يسأل عنك بإستمرار.

رفع مصعب حاجبيه بصدمة وقال مندهشًا :
_يريد رؤيتي ويسأل عني؟ من يعرفني في هذا المكان غيرك أنت والسيدة سندس وذلك الغريب الذي ساعدني؟

ابتسم رضوان ثم نهض وهو يقول:
_انتظر وسترى، هيا ارتدي هذا القميص فلا يجب أن يراك احد وأنت عاري الصدر هكذا .

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

أمسك رضوان بقميص قطني باللون الرمادي وساعده على إرتدائه برفق، ثم خرج من الغرفة وجاءه بعد لحظات وهو ينظر خلفه قائلا:
_تفضل سيد فراس تفضلي يا ابنتي .

دخل خلفه رجل قصير القامة صاحب وجهٍ بشوش وتسير بجانبه فتاه ذات بشرة خمرية ترتدي ثوبًا طويلا باللون الأزرق وذات شعر أسود طويل، اتاه صوت رضوان وهو يشير إلى الرجل :
_أعرفك هذا سيد فراس يعمل نجارًا في هذه القرية وهو يسكن فى البيت المجاور لنا، وهذه ابنته الآنسه فتون كانوا يسألون عنك طوال الوقت..

صافح مصعب السيد فراس وقدم التحية لـفتون؛ فجلس بجانبه السيد فراس وقال بتأثر وقد دمعت عيناه وهو يربت على كف مصعب الممددة بجانبه:
_لا أعرف كيف أشكرك يا بني؛ الشئ الذي فعلته لم يستطع أحدٌ أن يتجرأ ويفعله أبدًا لقد أنقذت شرفي!

غضن مصعب حاجبيه ونظر إلى رضوان وهز رأسه بعدم فهم فأجابه رضوان موضحاً:

_الآنسه فتون هي نفسها الفتاه التي منعت الجندي من أخذها إلى القصر!

رفع حاجبيه بدهشه فهو لم يكن ينتبه لها ذلك اليوم كل ما كان يشغله أن يخلص تلك الفتاة من ذلك الجحيم الذي كان ينتظرها ومن أن تتحول من فتاة حرة إلى جارية، إنتبه إلى فراس الذي قال بحنان :

_بسبب شجاعتك الكبيرة أنقذت ابنتي الوحيدة من هؤلاء الجنود، ليت زوجتي وابنتي لم يذهبوا ذلك اليوم إلى المدينة لزيارة شقيقتي وبقوا هنا فى القرية، لو لم يذهبوا لما حدث كل هذا ولما أخذوك إلى السجن وعذبوك هكذا، زوجتي حكت لي عن شجاعتك وكيف وقفت في وجه الجندي الأرعن، سأكون مديونٌ لك بحياتي.

ربت مصعب على كتف السيد فراس وقال بحرج:

_لا تقل هذا سيدي فأي أحد في مكاني كان سيفعل ذلك بالتأكيد

نفى فراس ما قاله مصعب وأجابه مؤكداً:
_من قال هذا ما كانوا ليفعلوا ذلك أبدًا لقد إعتادوا على الظلم فيوميًا تؤخذ بناتهم وزوجاتهم من أمام اعينهم ولايستطيعوا أن يتفوهوا بحرفٍ واحد!

ظهرت علامات الإشمئزاز على وجه مصعب وهو يقول بعدم تصديق:
_ألهذه الدرجة يخافون ذلك الملك؟

_أجل، لقد رأوه وهو يذبح ابنه بكل دِم بارد كما تُذبح الأنعام فالذي يستطيع أن يفعل ذلك في ابنه الذي من صلبه يستطيع أن يفعل أي شئ مع باقي شعبه؛ ولكن بمجيئك أيها البطل سوف يتغير كل هذا لقد أصبحت حديث المدينه بأكملها فالجميع هناك يتحدث عن شجاعتك يبدو أن حكم ذلك الظالم واتباعه لن يدوم طويلاً.

رفع رضوان يداه إلى السماء وهو يدعو بخشوع:
_نسأل ٱلله أن يعجل بنهايتهم.

أمن الجميع على دعائه، فأشار فراس بيده إلى إناء فخاري تحمله فتون وقال محدثاً رضوان:

_تفضل يا سيد رضوان، لقد حضّرت ابنتي فتون طعامًا شهيًا لتأكله أنت والسيد...

ثم إلتفت نحو مصعب وسأله:

_صحيح ما اسمك يا بني؟!

_مصعب .

_ما أجمله! وأنت يا سيد مصعب يجب أن تأكل جيدًا حتى تشفى جراحك بسرعة.

_اشكرك سيدي، ولم يكن هناك داعٍ لكل هذا .

نظر له فراس قائلاً بلوم:

_ماهذا الكلام فمهما فعلنا لك لن نستطيع أن نرد ولو جزءًا صغيرًا من معروفك.. ولكن أخبرني من أي البلاد أنت؟

تلعثم مصعب فأجاب رضوان قائلا بسرعة وبأول شئ خطر في ذهنه:
_إنه من مملكة تاترا!

رفع فراس حاجبيه ونظر إلى مصعب وهو في حالة من الإندهاش:
_ مملكة تاترا، كيف طاوعك قلبك أن تترك تلك المملكة الرائعة التي يحكمها ذلك الملك العادل وتأتي إلى هذا الجحيم يا ولدي ؟

إلتفت مصعب نحو رضوان ونظر له بعتاب على هذه الورطة التي أقحمه فيها، ثم حنى رأسه وأجاب بتردد :
_ لم أكن أعرف قصة هذه المدينة وما يحدث فيها!

هز فراس رأسه بتفهم وحزن على هذا الشاب الرائع الذي اسقطه قدره في مكان كمدينتهم هذه، فهو يعرف جيدًا أن الخروج من هنا أمرٌ مستحيل، لحظات وأستأذن فراس وابنته وبقي مصعب مع رضوان ليسأله:
_ هل السيد فراس مسيحي؟

أومأ رضوان موافقاً وقال:
_أجل، لعلك إنتبهت للصليب الخشبي الصغير الذي يرتديه في عنقه!

هز مصعب رأسه بالإيجاب، ثم راح يسأله مجدداً:
_من الذي داوى الجروح التي في ظهري؟

أجابة رضوان وهو يجلس على طرف الفراش:
_أنا، ولكن الآنسة فتون هي من صنعت لك مرهم الجروح، لأنها ماهرة في صنع الأدوية..

هز مصعب رأسه بتفهم ثم إلتفت نحو رضوان وسأله بإهتمام:
_وهل كنت تعرف عائلة السيد فراس من قبل؟

أوما رضوان موافقاً ثم قال:
_أجل، شقيقة السيد فراس تكون جارتي، وأعرفهم منذ زمن بعيد، وعندما وجدتك في هذه الحاله طلبت من الآنسه فتون أن تأتي وتصنع لك بعض الأدوية لعلاج جروحك، فأنا لم أكن لأثق بأي أحد غيرها.

تنهد مصعب بإرهاق وأنزعاج مما يحدث معه فنظر حوله :
_وأين نحن الآن؟

نهض رضوان وأنحنى ليحمل الإناء الفخاري الذي أحضره معه فراس وأجابه:
_في قرية تبعد عن المدينه مسافه كبيرة، لا تقلق لن يجدوك هنا بسهوله لقد اختار ذلك الشخص المكان المناسب لتختبيء فيه... هيا دقائق وسأعد لك شيئاً لتأكله..

■ ■ ■

وقف الجندي منكسًا رأسه وأجاب بإرتباك :
_أجل يا مولاي بحثنا عنه في كل المدينه ولم نجد له أثر!

ضرب "نعمان" بقبضته الغليظة على كرسي عرشه ووقف فى مكانه بقامته القصيرة وجسده الممتلئ وقال بصوت جهوري :
_كيف حدث هذا أيعقل أن تكون الأرض قد انشقت وابتلعته لا يوجد

في عقلي تفسير آخر غير هذا!

ثم نظر بعينين حمراويتين كالجمر وقال موجهًا حديثه إلى رئيس السجن:
_وأين كنت يا حسان عندما هرب ذلك السجين من عندك؟

تكلم الوزير رعد بالنيابة عن رئيس السجن الذي كان في حاله يرثى لها من شدة الخوف ليجيب بهدوء:
_ مولاي، يستحيل أن يهرب أحدٌ من ذلك السجن فالحراسه عليه مشددة للغاية، مؤكد أن هناك من قام بتهريبه.

ضيق "نعمان" عيناه وقد غلى الدم في عروقه وجن جنونه، وهو يهتف بغضب هادر:
_قام بتهريبه، هذا يعني أن هناك خونه في قصري، أريدكم أن تبحثوا عن هذا المتمرد في كل مكان أريده حيًا كي أذبحه بنفسي لقد تحداني ووجوده فى المدينه يشكل خطرًا كبيرًا عليّ.

إنحنى الجميع وأجابوه بصوت واحد:

_أمرك يا مولاي.

خرج الوزير رعد ومعه رئيس السجن وخلفهما بعض الجنود ليلقي الوزير أوامره بصرامة:
_مشطوا المدينة بأكملها لا أريد مكاناً ولا بيتاً لم تفتشوا فيه أريد هذا الشاب بأي ثمن كان، وجوده حراً في المدينة يعد خطراً كبيراً فقد يسبب إنقلاباً ضد الملك..

إنحنى الجنود وألقوا تحيتهم ثم توزعوا في المكان، تابع رعد سيره فباغته حسان بسؤاله بتردد:
_هل يعرف الملك أن ذلك السجين الهارب يشبه الأمير؟

زفر رعد بضيق من هذا العبث الذي يحدث في المدينة ومن ذلك الغريب الذي ظهر لهم من العدم ليقلب أمن المدينة الذي يتحكم فيه هو رأساً على عقب، أجاب دون أن ينظر إليه :
_لا، لم يخبره أحد.

_ولماذا ؟

توقف رعد عن السير بحدة مما جعل حسان يتراجع خطوة للخلف ليلتفت نحوه رعد وقال بوجوم :

_هو غاضبٌ إلى هذا الحد لأن الشاب تحداه فقط، ماذا سيفعل بنا إن علم أنه يشبه الأمير وهرب من السجن بهذه السهوله، هل أنت مستغنيٍ عن حياتك يا حسان ؟

نفى حسان برأسه وابتلع ريقه بصعوبه وهو يمسح عنقه بخوف حقيقي.

■ ■ ■

رأه رضوان يستند على باب الغرفه فسأله بإهتمام وهو يسير تجاهه:

_مصعب، إلى أين؟

سأخرج لأستنشق بعض الهواء في الخارج فقد مللت من التمدد والجلوس في الغرفة طوال الوقت.

كان رضوان على وشك الرفض فقد أصبح يقلق عليه كثيراً بعد

خروجه من السجن ومعرفته بأن جنود الملك يبحثون عنه في كل مكان، لكنه في المقابل لا يريد أن يضيق عليه بإجباره على المكوث في البيت فيكفي ما هو فيه، لذلك قال له بهدوء:

_حسنًا؛ ولكن لا تبتعد فأنت لا تعرف المكان هنا.

هزّ مصعب رأسه موافقًا وخرج من البيت ليقف وهو يرى المكان لأول مرة كانت البيوت صغيرة نسيبًا وليست بجانب بعضها كما الحال في المدينة إنتبه إلى أن أمام كل بيتٍ يتجمع عدد من الأشخاص يوقدون النار ويجلسون أمامها يتسامرون وقد وصلته أصوات ضحكاتهم المجلجلة في المكان وأصوات الأطفال وهم يلعبون بجانبهم، أخذ نفسًا عميقًا واخرجه ببطئ وهو يضغط على رأسه بتألم وقد شعر بدوار خفيف أثر تمدده في الفراش كل هذا الوقت، فقد مر أسبوعان منذ اليوم الذي جاء فيه إلى هذه القرية، رفع نظره إلى السماء التي إمتلأت بالنجوم بشكل غريب وجميل في الوقت نفسه، تنهد بتعب ثم قال محدثا نفسه:

_اشتقتُ إليكِ يا أمي، تُرى كيف هو حالك الآن، مؤكد أنكِ قلقة عليّ للغاية، سامحيني أرجوكِ ففضولي أنساني وصية أبي الأخيرة بأن أهتم بكِ ولكني كنتُ شخصًا غبيًا حينما فكرت في نفسي فقط.

على بُعد أمتار قليلة منه كان يجلس السيد فراس وزوجته وأبنته أمام بيتهم ويشعلون النار كما يفعل معظم أهالي القرية، نظر فراس أمامه ثم قال مضيقًا عينيه :

_هل هذا السيد مصعب أم انا مخطئ؟

إلتفتت فتون ونظرت إلى حيث يشير والدها وقالت:

_أجل إنه هو!

_سيد مصعب..

إستيقظت حواس مصعب فجأة ونظر خلفه بقلق فتنفس الصعداء عندما رأى السيد فراس يرفع يده مشيرًا إليه بأن يذهب إليهم، تردد قليلاً قبل أن يحسم أمره وخطى نحوهم بخطوات هادئة ثم حياهم بإبتسامة عذبة رفعت فتون نظرها إليه قائلة بلوم:

_مالذي تفعله في الخارج، أنت مازلت مريضًا وجروحك لم تشفى بعد!

_لقد مللت من الجلوس في البيت فأنا غير معتاد على ذلك.

ابتسم السيد فراس وقال بهدوء:
_لا عليك هيا تعال واجلس معنا

_اشكرك سيدي لا أريد أن اضايقكم بوجودي سأذهب واجلس امام البيت حتى لا يقلق السيد رضوان.

_ما هذا الذي تقوله يا بني لن تضايقنا بشئ ..هيا تعال واجلس هنا بجواري وعندما يخرج السيد رضوان سيجدك معنا.

رضخ مصعب لإلحاحه وجلس بجواره فمدت له "ريما " زوجة السيد فراس بطبق نحاسي متوسط وهي تقول بودٍ صادق لا تدعيه:
_تفضل تناول هذه إنها لذيذة ومفيدة

نظر مصعب إلى الطبق فرأى أشياء بيضاء وصفراء صغيرة، فعاد ينظر إلى السيدة "ريما" ويسألها بفضول:
_ماهذه؟

_انها مكسرات لن تجد منها إلا في هذه القرية فقط.

مدّ يده وأخذ منها القليل ثم شكرها بلطف فألتفت نحو فراس فوجده يتأمله وهو مبتسمًا بحزن:
_ماذا هناك سيدي؟

ظلت إبتسامة فراس الحزينة مرسومة على وجهه وهو يجيبه:
_اشعر وكأن الأمير تيم 'رحمه ٱلله' جالس معنا الآن..

هتفت فتون بحماسه قائلة:
_إحكي لنا يا ابتِ كيف كان الأمير وهل كان مثل والده الملك؟

تنهد فراس ومد يده بعصا خشبية يقلب النار المشتعله وهو يقول:
_لو كان مثل والده يا ابنتي لكان موجود في المدينه الآن، الأمير" تيم" كان شخصًا نبيلاً للغاية وطيب القلب مثل والدته الملكة، لن أنسى ما حييت ذلك اليوم المشئوم عندما أمر الملك بأن نتجمع في ساحه المدينه وهناك وجدنا الأمير ممددًا على الأرض ومقيدًا في يديه

وأرجله وبرغم الوضع الصعب الذي كان فيه إلا أنه لم يبكي ولم يظهر عليه أي علامة من علامات الخوف، لقد واجه مصيره بقوة وشجاعة..

أخذ مصعب والجميع يستمعون إلى فراس بإهتمام كبير رغم علمهم المسبق بهذه القصة وهو يقول:

_قال له الملك أنه سيتركه ولن يذبحه إن وافق على ما يريده أن يتحول إلى شخصًا غليظاً وقاسي القلب؛ ولكن الأمير كان مُصرًا على قراره وفضّل الموت على أن يتغير فذبحه ذلك الطاغية أمام مرأى الجميع ولم يتجرأ أحدٌ منا أن يقف أمام وجه الملك وينقذ الأمير، يقولون أن " الكثرة تغلب الشجاعة" لو تجمعنا ووقفنا أمام الملك كنا سننتصر عليه بالتأكيد لكن لن يفيد الندم وكل ما يحدث هنا نستحقه!

غضن مصعب حاجبيه وراح يسأله بفضول:

_كيف؟

_عندما جلس نُعمان على العرش أحس "صخر" كبير الحكماء بعدم الإطمئنان فقد أراد أن يعم الخير والسلام في المدينه وكل أرجاءها

ولحفظ السلام ولمنع هذا الظالم من سفك دماء الأبرياء طلب من السحرة إلقاء تعويذة على المدينة وكانت هذه النتيجة فعندما قُتلت نفسُ بريئه حلت اللعنه على المدينه والقرى التابعة لها فقد كان الأمير هو أول شخصٌ برئ تسفك دماءه على يد نُعمان..

سأله مصعب بإهتمام وهو يحاول ربط الأحداث ببعضها:
_هل تقصد أن الأمير كان موجوداً عندما أمسك نعمان الحكم؟

أومأ فراس موافقاً قبل أن يقول:
_أجل، كان في التاسعه من عمره آنذاك.

صمت مصعب هنيهة وقال بإستنكار:
_ولكن هناك خطأ في الأمر فالملك هو من ذبح الأمير لماذا تحل اللعنه على الجميع وهم لم يشاركوا فى الجريمة حتى!

نظر له فراس بجدية قائلاً:
_وما أدراك انهم لم يشاركوا؟ لقد فعلوا اكبر ذنبٍ، ألا وهو السكوت عن الحق، سكوتنا عن الظلم ادرجنا في القائمة مع ذلك المجرم

فأصبحنا مثله، وأصابنا ما أصابه!

_ومتى تزول هذه اللعنه ويرجع كل شئ لسابق عهده؟

تنهد فراس وأجابه وهو يعاود تقليب النار ووضع الحطب فيها حتى لا تنطفئ:
_عندما تأخذ العداله مجراها ويتم الإنتقام من المجرم؛ يجب أن يُذبح الملك في المكان الذي ذُبح فيه الأمير وقتها فقط سيعود كل شئ كما كان في السابق ..

حنى مصعب رأسه وتمتم بخفوت:
_ومن ذلك الشجاع الذي سيغامر ويفعل ذلك! إن انتظرتم قدوم ذلك البطل الخرافي فستقضون ما تبقى من حياتكم في هذا الظلام!

قطع حديثه مع نفسه صوت ذكوري يهتف من خلفهم بمرح:
_مساء الخير يا سادة!
إلتفتوا جميعهم نحو مصدر الصوت المعروف له، فرفع فراس يده ملوحاً، ليقترب منهم شاباً طويلاً مفتول العضلات ذو بشرة سمراء

وشعر أسود قصير، جلس الشاب بجانب فراس وألقى تحيته عليهم، فألتفت نحو مصعب ونظر إليه متفحصاً قبل أن يقول:

_هل لدينا ضيوف هنا؟

إبتسم فراس وهو ينظر إلى مصعب ويقول معرفاً:

_إنه مصعب الذي حكيت لك عنه..

رفع الشاب حاجبيه مندهشاً ثم هتف بنبرة ساخرة:

_من البطل.. يا مرحباً!

نظر له فراس وهو يقول محذراً:

_خالد!

ثم إلتفت نحو مصعب وأشار إلى الشاب وتابع:

_إنه خالد، ابن أخي، يسكن هنا في القرية وقريباً من بيتنا.

أومأ مصعب موافقاً ثم مد يده إلى خالد مصافحاً فبادله الأخير المصافحة وفي عينيه لمعه تحدي وشقاوة لاحظها مصعب جيداً، وقد

عرف بداخله أن مقابلاته القادمة مع هذا الفتى قد لا تمر مرور الكرام وخاصةً أنه لا يفضل هذا النوع من الأشخاص .. أخذ فراس وخالد يتبادلون الأحاديث ومصعب يستمع إليهم بصمت، حتى جاءهم رضوان وألقى عليهم التحيه ثم وجه حديثه إلى مصعب :

_هيا يا مصعب لقد حان وقت دواءك.

نهض الأخير بتثاقل وقد تيبس ظهره من الجلوس فقال باسمًا :

_تصبحون على خير

رد الجميع تحيتهم، وأنصرف الإثنان فنظر فراس إلى خالد وهو يقول بتحذير:

_لا أريد مشاكل مع هذا الشاب يا خالد، ما فعله مع ابنة عمك لم ولن يفعله أحد أبداً

نظر إيه خالد ثم أدار وجهه الناحية الأخرى وهو يجيبه وعلى وجهه إبتسامة صفراء:

_لا تقلق يا عماه.

■ ■ ■

ـ٧

يقال أن لا يُلدغ مؤمن من جُحر مرتين، أما هو فلن يهنئ ولن يرتاح له بال حتى يتسبب في موته بسبب فضوله يوماً ما!

خرج من الغرفة وهو يتثاءب ويتمطع بتكاسل كالهر الكسول، وقد تعافت جروحه بشكلٍ كبير، واستعاد كامل صحته، تلفت حوله فوجد البيت هادئ خالي تماماً من أي حركة، نادى على رضوان عدة مرات ولكن لا مُجيب، حكّ رأسه وهو يتساءل:
_ أين ذهب يا تُرى؟

وجد ورقة مطوية موضوعة على الطاولة الخشبية التي في الردهة الصغيرة للبيت، إلتقتها فوجدها رسالة من رضوان..
" ذهبت إلى السوق مع السيد فراس لأجلب بعض الأشياء التي تنقصنا لا تفتح الباب لأحدٍ أبدًا ولا تخرج من البيت حتى أعود "

ألقى الورقة على الطاولة وزفر بضيق وهو يهتف:

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

_ما هذا ألا يكفي انني مجبر على العيش في هذا العالم الغريب.د ولا أعرف كيف ولا متى أعود إلى بيتي!!

كان مصعب آخر شخص يستمع إلى كلام الكبار منذ طفولته، وتواجده في هذا العالم خير برهان على ذلك، ويبدو أنه لم ولن يتعلم درسه أبداً، دخل إلى الغرفه وبدل ثيابه بقميص أزرق بدون أكمام يظهر عضلات ذراعيه وسروال أسود ثم ربط رأسه بعصبه بيضاء ليبعد عن وجهه شعره الذي طال كثيراً، نظر إلى إنعكاس صورته في المرآة التي أمامه وابتسم بتلقائيه وهو يتأمل هيئته التي أصبحت تشبه هيئة شباب المدينه والقرية كثيراً، فمن يراه يجزم أنه ابناً لهذا المكان، وليس غريبًا عنه!

فتح باب البيت وخرج منه وعلى وجهه ابتسامة عريضة وهو يضع يداه في خاصرته:

_سأستكشف المكان قليلاً وأعود بسرعة قبل أن يرجع السيد رضوان من السوق!

خطى بخطوات واثقة وهو يتأمل القرية بإعجاب حقيقي، بيوت صغيرة متراصة على مسافات بعيدة نسبيًا على المساحات الواسعة ويحيط

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

بالقرية الجبال الشاهقة وأشجار الصنوبر والأرز العالية من جميع الجهات مما يجعل القرية وكأنها لوحة فنيه رائعه الجمال، كانت تخرج من البيوت أضواء شديدة يظن الناظر إليها أنها مضاءة بالكهرباء حتى شوارع القرية فبجانب المصابيح الكبيرة كان لحشرات " اليراع" دور كبير في انارة شوارع وطرقات القرية، تلفت مصعب حوله وهو يقول بإنبهار:

_لا أصدق ما تراه عيناي ماهذا الجمال سبحان الخالق، فحتى الظلام لم يؤثر على جمال هذه القرية، إنها جميلة حقًا وكأنها قطعه من الجنّة، ولكن هناك شئٌ غريب كيف توجد أشجار خضراء ولا توجد شمس؟!

مط فمه ورفع كتفيه وهو يقول:

_ ولمَ التعجب والإندهاش فكل ما يحدث هنا غريبٌ وعجيب!

مرّ الوقت سريعًا دون أن يدري وهو يتأمل وجوه الناس حوله، توقف فجأة وتراجع للخلف قليلاً ليجد أنه كان على بعد خطوات من حافة النهر، نظر حوله مشدوهاً وتمتم بتيه وحيرة:

_أين أنا الآن؟! يبدو انني ضللت طريقي تُرى من أي جهة أتيت وكيف سأعود وأنا لا أعرف الطريق، فضولك هذا يوقعك في المشاكل

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

دومًا ماذا كان سيحدث لو بقيت مكانك في البيت ولم تخرج، أخبرني الآن أي اتجاه يجب أن تسلك أيها الذكي؟

ظلّ يتلفت حوله عله يجد طريق العودة، إنتبه إلى سيدة مسنة تحمل بعض الحقائب بصعوبة، ذهب إليها مسرعًا وحمل عنها حقائبها ثم قال بودٍ صادق لا يدعيه:
_دعيني أساعدكِ يا أمي

ابتسمت السيدة وهي تعدل وشاحها الأسود قائلة بإمتنان:
_اشكرك يا بني

قالتها ثم أمعنت النظر فيه جيدًا فتقدمها في العمر أفقدها الكثير من بصرها، جحظت عيناها وتمتمت بصدمة:
_ولكن كيف يعقل هذا أنت تشبهه حقًا لولا أنه قد مرّ على موته الكثير لظننت أنك هو!

هزّ رأسه وقد فهم ماترمي إليه العجوز :
_أجل أعرف أنني اشبه الأمير "تيم" 'رحمه ٱلله' فكل من يراني أول

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

مرة يظن أنني هو!

_وما اسمك؟

_مصعب .

قالت السيدة وهى تسير بجانبه وتتأمله بين الحين والآخر بإبتسامة حزينه :
_سُعدتُ بلقاءك يا بني، اسمي "علياء" وأنا أعيش مع ابنتي الوحيدة " نرجس" وابنها وزوجها، ولكن زوج ابنتي ليس هنا لإنه تاجر وكثير السفر إلى المدينة والقرى المجاورة....

ظلا يتحدثان طوال الطريق حتى توقفت العجوز أمام بيتٍ صغير مثل باقي بيوت القرية ثم طرقت الباب لتفتح لها امرأة في العقد الرابع :
_أمي لقد تأخرتي كثيرًا ، و ...

بترت حروف كلماتها عندما وقعت عيناها على ذلك الشاب الواقف بجوار والدتها، أشارت إليه العجوز وقالت مُعرفة :

_إنه مصعب وهو من أصرّ على مساعدتي إنه شخصٌ نبيل للغاية، وهذه تكون ابنتي " نرجس" .

حياها مصعب باسمًا ثم ناولها الأغراض التي يحملها و قال وهو يهم بالإنصراف:
_استئذنكم الآن لقد تأخرت كثيرًا.

أوقفته السيدة علياء قائلة بإحتجاج:
_لا لن تذهب حتى نقوم بإستضافتك فى بيتنا.

_لا استطيع سيدتي فأنا متأخرٌ للغاية.

اصرت العجوز على رأيها وقد تحولت لطفلة عنيدة بإصرارها وإلحاحها:
_لا يهمني كل هذا ستدخل حتى نرد لك جميلك.

_أنا لم افعل جميلٌ ولا أي شئ سيدتي...

قاطعته قائلة بحزم شديد:
_لا مزيد من النقاش هيا..

وقبل أن يجيب أو يعود للإعتراض جذبته العجوز من ذراعه فانصاع الأخير لطلبها ودخل إلى البيت غاضًا طرفه، أجلسته على أحد المقاعد وجلست بجانبه قائلة:
_أخبرني يا بني من أين أنت فأنا اعيش في هذه القرية منذ زمن وأعرف كل من يعيشون فيها جيدًا ولم أراك هنا من قبل؟

_أجل أنا جديد في هذه القرية وأعيش مع السيد رضوان!

صمتت علياء هنيهة وهي تفكر في ذلك الاسم:
_ومن يكون السيد رضوان؟

_إنه من المدينه وانتقل إلى القرية منذ أيام قليلة وجئت لأعيش معه.

ثم تنحنح وتابع حديثه بحرج وهو يفرك كفيه بتوتر :
_لكنني ضللت الطريق ولا أعرف طريق العودة، فهذه أول مرة أخرج

فيها من البيت!

تبسمت العجوز ضاحكة وقالت :

_أنت تائه إذن، وبالرغم من ذلك كنت مُصرًا على مساعدتي، أنت شخصًا نبيلاً حقًا، لم تفكر في نفسك رغم أنك محتاجٌ للمساعدة أكثر مني أنت تشبهه حتى في الطباع وليس فقط في الشكل!

_تقصدين الأمير؟

_أجل، كان مثلك تمامًا يحب الناس ويحب أن يساعدهم يفكر في غيره قبل نفسه لو كان بيننا لكان ملكًا عادلاً لولا ذلك الظالم قاتله ٱلله وعامله بما يستحق .

لاحظ مصعب علامات الحزن والغضب ظاهرة على وجه السيدة علياء فقال محاولاً تغير الحديث:

_هل تعرفين السيد فراس الذي يعمل نجارًا؟

_بالطبع أعرفه واعرف زوجته وابنته فتون أخبرتك أنني أعيش هنا

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

منذ زمن وأعرف الجميع.

تنفس مصعب الصعداء وقال بسعادة وقد شعر بأن روحه قد عادت إليه:
_حمدًا لله انكِ تعرفينهم وكيف أصل إلى بيتهم فالسيد رضوان يعيش بجوارهم .

هزت رأسها بالإيجاب وقالت مطمئنة :
_سأرسل معك حفيدي "جنيد " وهو من سيوصلك إلى بيتك .

_اشكرك كثيرًا سيدتي

جاءتهم "نرجس" ووضعت مافي يدها من طعام على الطاولة الخشبية وقالت :
_هيا يا سيد مصعب تفضل لتأكل معنا.

كاد يرد بالرفض عندما وجد العجوز تمسك ذراعه وتجذبه ليجلس معهم على الطاوله.. لم يجد بدا من تناول الطعام معهم جبرًا لخاطر

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

هذه السيدة الطيبة، مر الوقت سريعًا فأستأذنهم بالإنصراف وذهب برفقة "جنيد" ابن نرجس البالغ من العمر أربعة عشر عامًا، أخذا يتحدثان في أمورٍ عدة وقد أحب مصعب هذا الفتى جنيد كثيرًا فقد كان مرحًا وذكياً وقريبًا إلى القلب وشجاعًا أيضًا، وصلا سريعًا إلى البيت، فشكره مصعب بلطفٍ ثم دخل إلى البيت على أطراف أصابعه وهو يتلفت يمينًا ويسارًا داعيًا ٱلله أن يكون رضوان مازال في الخارج، تسمر في مكانه عندما سمعه يهتف من خلفه بغضب:

_أين كنت كل هذا الوقت يا مصعب؟ ألم أخبرك أن لا تخرج من هنا مهما حدث، ماذا سيحدث لو رأك أحدٌ من جنود الملك ماذا سيحدث حينها؟

ثم مدّ يده بورقه كبيرة وأعطاها له وأستطرد بحنق:

_ إنها لك!

أخذ منه الورقة وهو يتجنب النظر في عينا رضوان وبدأ فى قراءتها " جنود الملك يبحثون عن الشاب في كل مكان ولا شك أنهم قد يأتوا إلى القرية في أي وقت يجب أن تكونوا حذرين "

قال رضوان وهو يشير بإتجاه الباب :
_لقد وجدتها على الأرض عندما فتحت الباب وقد بحثت عنك فى البيت وكل القرية ولم أجدك!

نكس مصعب رأسه بخزي وقال بحرج:
_أعتذر منك سيدي وأعدك انني لن أخرج مرة أخرى بدون علمك

تنهد رضوان بتعب وهو يحاول أن يكون هادئًا أكثر :
_أنت لست طفلاً صغيرًا لتقوم بهذه الأفعال، أنا فقط خائف عليك من أن تتعرض لأي أذى.

_أعلم ذلك سيدي

تقدم منه رضوان وربت على كتفيه قائلاً بهدوء:
_لا عليك ولكن أخبرني أين كنت كل هذا الوقت فأنا والسيد فراس وخالد بحثنا عنك كثيرًا وكنا قلقين عليك للغاية.

_وأين هم الآن؟

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

_في منزل السيد فراس

_سأذهب إليهم كي أطمئنهم..

_انتظر سأتي معك

طرقات خفيفة على باب البيت لتفتحه فتون وعلى وجهها علامات الحزن والقلق اتسعت عيناها عندما رأت مصعب أمامها فقالت مسرعة:

_ مصعب أين كنت كل هذا، لقد بحث ابي وخالد والسيد رضوان عنك كثيرًا وظننا أن الجنود قد عثروا عليك لم أكن لأسامح نفسي لو حدث لك مكروه فكل ما أنت فيه الآن بسببي أنا .

جاءهم خالد من الداخل ومعه عمه فراس، فأقترب خالد منه وضربه على كتفه بقبضته القوية وهو يقول ضاحكاً:

_ها هو من كنتم على وشك الجنون بسببه، إنه أمامكم.. يشبه القطط بسبع أرواح!

لكزه عمه فراس في ذراعه وألقى عليه نظرة ساخطة لذلك الفتى الذي لا يُقدر الظرف ولا الموقف، ثم إلتفت نحو مصعب وهتف بلهفة حقيقية :

_مصعب بني هل أنت بخير وأين كنت كل هذا؟

ابتسم مصعب وأخذ يربت على ذراع فراس مطمئنًا:

_أنا بخير سيدي لا تقلق كنت فقط استكشف المكان قليلاً وبدون أن أدرى وجدت نفسي تائهًا، حتى قابلت السيدة علياء وهى من ساعدني في الوصول إلى هنا.

إرتسمت إبتسامة هادئة على وجه فتون لتقول:

_السيدة علياء إنها سيدة طيبة للغاية والجميع هنا يحبها حقًا..

أكد فراس على ما قالته ابنته عن تلك المرأة المعروفة في القرية بطيبتها وحسن خلقها، ثم نظر إلى مصعب قائلاً بجدية:

_ما حدث اليوم مر على خير والحمدلله؛ ولكن لا يجب أن يكرر هذا الأمر وتخرج بمفردك مرة أخرى..

_حسنًا، أعدكم أنني لن أفعلها مجددًا .

■ ■ ■

جلست سندس على جذع الشجرة القديمة التي اصبحت تستخدم كمقعد ثم أرسلت تنهيدة متعبة وهى تمسح حبات العرق التي تناثرت على جبهتها فأرتسمت إبتسامة صغيرة على ثغر العجوز صخر الذي تخطى عمره المائة عام، وأخذ يمسح على لحيته البيضاء كالجليد والتجاعيد التى حُفرت حفرًا على وجهه لتعلم من يراه بما عاشه هذا الرجل في حياته ليقول بهدوء:

_ يبدو أنكِ أصبحتِ عجوزًا يا سندس!

ضحكت سندس بخفوت وأجابته بلوم:

_ لست أنا المخطئة لو كان كوخك هذا قريبٌ منا وليس على قمة هذا الجبل الشاهق ما كنت لأعاني في الوصول إليه بهذا الشكل.

إتسعت إبتسامة صخر قائلاً بحكمة :

_ الإعتزال عن الناس راحةٌ يا ابنتي .

أومأت برأسها موافقة على ما قاله ثم قالت :
_ لقد أردت القدوم إلى هنا منذ وقتٍ ليس بقصير ولكن أخبرني مساعدك "بشير" أنك تتعبد وتمنع أي أحد من التحدث معك.

تكلم العجوز وهو يحني رأسه و يرسم بعصاه على الأرض بعض الكلمات الغير مفهومة:
_أردتِ القدوم لتخبريني بأمر مصعب أليس كذلك؟

ضيقت سندس عيناها قائلة بتوكيد:
_كنت أعلم أنك أنت من أحضره إلى هنا ولكن لمَ هو تحديدًا؟

أخذ صخر نفسًا عميقًا وأخرجه ببطئ ثم رفع رأسه فظهرت عيناه التي أبيضت من تقدمه في العمر وهو يقول بحكمة:
_ أنتِ لا تعرفينه يا سندس إنه فتىً شجاع ولديه طاقة غريبة، وقد رأيتي كيف أنه لم يرضى بما حدث في ساحه المدينة وكيف وقف بكل شجاعه أمام جنود الملك ليحرر تلك الفتاة، هل هناك من في المدينة يستطيع فعل ذلك؟ ما كان ليفعل شيئاً كهذا سوى الأمير تيم، إنه لا

يشبهه في الشكل فحسب بل لم يترك طبعٌ من طباع الأمير لم يتحلى به، هذا هو الشخص الذي سيساعدكم في التخلص من نُعمان وأتباعه لقد حاولتم مراراً التخلص منه لكن خطتكم كانت تبوء بالفشل دوماً، وقد كنت أخبركم أنه ليس وقته المناسب فالوقت لم يحين بعد، أما الآن فالوقت قد حان فبعد أسبوع من الآن سيحدث شئ في ساحة المدينة وخاصةً عند دماء الأمير لتكون هذه هي إشارة التحرك لديكم، ومؤكد أنكِ أخبرتي صديقنا بوجود مصعب هنا، إذهبي إذن وأخبريه أن الوقت الذي إنتظره طويلاً قد حان وها هو على وشك الثأر لصديق عمره!

■ ■ ■

٨_

علت صيحات الأطفال والشباب المشجعون وهم يتحلقون حول الساحة الواسعة التي إتخذها شباب القرية ملعبًا لهم، ركض مصعب وهو يستحوذ على الكرة المصنوعة من الأقمشة، وقد قرر أن يضفي بعض المرح في المكان، فأخبرهم عن لعبة تسمى كرة القدم لتظهر امارات الدهشة وعدم الفهم على وجوه الجميع، فاضطر أن يشرح لهم فكرتها وقوانينها بطريقة مبسطة ليوافق الشباب على تلك الفكرة بحماسة شديدة ولتبدأ مهمة البحث عن كرة، لذلك همَ الشباب والأطفال بإحضار بعض الأقمشة والخيوط من بيوتهم ليصنعوا منها كرة متوسطة تفي بالغرض، إقتسم الشباب إلى فريقين فريقٌ لـ مصعب وفريق لـ خالد هلل جُنيد مشجعًا وهو يهتف باسم مصعب عاليًا يحثه على التقدم، أخذ مصعب في التحرك بخفه ومهارة بسبب إتقانه لها وبسبب جهل الشباب لهذه الرياضه، ضرب الكرة بقدمه لتدخل فى مرمى الفريق الآخر والمكونة من حجرين كبيرين يقف أحد الشباب كحارسًا لها، إزدادت هتافات الأشخاص المشجعين لفريق مصعب ليقترب خالد وهو يلوح بيده فى وجه مصعب قائلاً بإمتعاض :

_هذا ليس عدلاً أنت تستحوذ على الكرة وتستغل جهلنا لهذه اللعبة

حتى تحرز الأهداف لصالح فريقك!

أجابه مصعب من بين أنفاسه اللاهثة، ورفع كلا كتفيه بلا مبالاة:
_ ولمَ لا تقل أنني أفعل ذلك حتى تزداد حماسكم وتحاولوا مجاراتي وأخذ الكرة مني!

ثم ربت على كتف خالد وأردف بإبتسامة واسعه إستفزت الأخير:
_ ولمَ كل هذا الغضب يا رجل إنها مجرد لعبة للتسليه فقط، هذه ليست حربًا .

نفض خالد يد مصعب بغضب ليشيعه بنظرات حانقة قبل أن يغادر المكان هو وبعض الشباب من فريقه، لوى مصعب فمه وهو يرى خطته لكسر الملل والروتين تبوء بالفشل، إلتفت خلفه عندما أتاه صوت جُنيد وهو يهتف بحماسة مشيراً إلى الأولاد الذين يقفون بجانبه :
_أنا والصبيه نريد أن نلعب معك.

إرتسمت ابتسامه واسعه على ثغر مصعب ثم نظر إلى فريقه وصفك بمرح وهو يقول ضاحكاً:

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

_هاقد جاءنا فريق جديد ليشاركنا اللعب!

كان الأطفال قد أخذوا فكرة عن كيفية اللعب من متابعتهم لها مدة من الزمن ، فبدأوا بحماسة شديدة، وحاول مصعب تخفيف مستواه في اللعب حتى لا يشكل صعوبة على الأطفال، ولكن حدث مالم يتوقعه أحد، فقد إستطاع الصبيان بذكاءهم وسرعة بديهتهم إتقان اللعبة في وقت قصير، ليزيد مصعب وفريقه مستواهم ولتشتعل الأجواء بالحماسة أكثر..

مر الوقت حتى جاء موعد العشاء فأنصرف الصبية والشباب إلى منازلهم وعاد مصعب إلى البيت وبداخله شعور غريب، هذه ليست طباعه فهو شخص إنطوائي ومنعزل أما هنا فقد شعر أنه شخص آخر أكثر مرحاً وصخباً، من الواضح أن للقرية تأثير كبير، فمحبة أهلها وترابطهم وكأنهم عائلة واحدة زرع بداخله الألفة تجاه المكان وتجاه من حوله وتأثر بطباع أهل القرية الإجتماعين المحبين للتعاون والفرح، عاد إلى البيت فأغتسل وتناول طعامه بمفرده فقد ذهب رضوان كعادته مثل كل يوم إلى المدينة ليباشر عمله في متجره الصغير للأقمشة في المدينة..

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

خرج مصعب من البيت للتجمع المعتاد عند السيد فراس في هذا الوقت، إلتفت نحو بيت فراس ليجد فتون ووالدتها وبرفقتهما فتيات صغيرات من القرية كان قد تعرف عليهن من قبل، إقترب منهن وألقى تحيته، لتلتفت نحوه طفلة صغيرة وهتفت بمرح عند رؤيته ثم قالت بسعادة غامرة:

_سيد مصعب، هل ستأتي معنا إلى العُرس؟

_عُرس؟

قالها مصعب بتعجب لتومأ فتون موافقه وتقول بسعادة:

_أجل إنه عُرس ابنة زعيم القرية وصديقتي المقربة " أفنان " .

إبتسم مصعب بلطف وقال بهدوء، وهو يهم بالجلوس بجانب تلك الطفلة، بعدما عرضن عليه الجلوس معهن:

_هذا جميل، وكيف تكون الأعراس هنا، أعلم أن لكل مكان طقوسه الخاصة.

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

هزت والدة فتون السيدة ريما رأسها موافقة وأخذت تشرح له العادات والتقاليد في قريتهم:

_صدقت، نحن هنا نقيم طقوسًا مختلفة عن طقوس أهل المدينه وباقي القرى؛ فقبل يوم العُرس يكون يوم "الحناء" وفيه نأخذ العروس من بيتها في زفه كبيرة يرافقها صديقاتها وأقاربها وجيرانها ويترأس هذه الزفة مجموعة من الموسيقين يضربون الدفوف ويقرعون الطبول، ويسير بجانبهم رجلان يحملان لوازم العروس فوق طبقين مستديرين من النحاس كل واحد من هذه الأطباق مغطىً بمنديل حريري مطرز، وتسير في مقدمة الزفة إمرأتان تحملان آنية فضية واحدة بها ماء الورد والأخرى بها عطر وتقومان برشه على الماره، أما العروس فترتدي ثوب الحناء الذي يكون باللون الأحمر و تجلس فى هودج مزين موضوع على ظهر الإبل ونظلّ ننشد ونغني حتى نصل إلى بيت "الحناية"

إرتسمت علامات الدهشة على وجه مصعب وهو يردد بعدم فهمة

_"الحناية"؟

ابتسمت ريما وهي ترى الحيرة والتعجب على وجه مصعب فقالت بتوضيح:

_الحناية هي سيدة تعرف أسرار خاصه بالحناء لا يعرفها أحد غيرها وهذا بالطبع تعلمته من جداتها فهم يقوموا بتوريثه لبناتهم حتى أصبحن هن الوحيدات في القرية اللاتي يعرفن بكل ما يتعلق بالحناء أو بحمام العروس وأثناء وضع الحناء للعروس تغني النساء بعض الأهازيج الشعبية التي يحفظنها لهذه المناسبه.

هز مصعب رأسه بتفهم وهو يقول بإطراء:

_جميلٌ حقًا، نحن أيضًا نحتفل بالحناء في عالمنا ولكن ليس بهذه الطريقة الرائعة!

_عالمكم ؟

انتبه فجأة لما تفوه به للتو فقال مسرعًا:

_أقصد في مملكتنا نحتفل بهذه المناسبه أيضًا.

_فهمت .

سألها بإهتمام قائلاً:
_وماذا بعد ..مالذي يحدث ؟

_يأتي يوم الزفاف وفيه ترتدي العروس ثوبًا من الكاشمير باللون الأحمر أو الأصفر أو البرتقالي المطرز بالذهب أو الفضة...

قاطعها مصعب وهو يسألها بفضول:
_ولمَ لا يكون ثوب العروس باللون الأبيض؟

هنا هتفت فتون بصدمة وهي تلوح بكفها:
_أبيض! نحن لا نرتدي هذا اللون إلا في حالات الوفاة، كيف لعروس ان ترتديه في يوم عُرسها؟!

هز الاخير رأسه بتفهم، ففي بعض دول آسيا لا يرتدى الأبيض في الأعراس إلا نادراً، نظر إلى فتون التي تابعت عن والدتها حديثها وهي تحكي بحماستها المعهودة:
_ في هذا اليوم تتزين العروس بالحُلي والجواهر وتغطي وجهها بشال

كبير بلون ثوبها، وتجلس في غرفتها التي في منزل والدها وتقوم النساء بالغناء والرقص منتظرين العريس الذي يأتي مُرتديًا ثوب العُرس المكون من قميص طويل مطرز بالفضه يصل حتى ركبتيه وبنطال حريري، وفوق رأسه يرتدي العمامة المزينة بالأصداف والأحجار الكريمة، في موكب كبير حتى يصل إلى بيت عرُوسهُ، ويكون بإنتظاره هناك والد العروس والأقارب والجيران والشيخ الذي سيعقد قِرانهم، وبعد العقد نحتفل قليلاً، ثم نأخذ العروس في هودج مزين موضوع على جمل مثلما نفعل في يوم الحناء، ونذهب معهم حتى نوصلهم إلى منزلهم الجديد ومن ثم نعود أدراجنا إلى منازلنا وبهذا يكون العُرس قد انتهى..

إتسعت إبتسامته وهو يستمع إلى ما تقوله فتون فكل ما قالته يذكره ببعض طقوس الأعراس التي كانت في مصر قديمًا وبعض الدول والتي قرأ عنها في كتب التاريخ:
_رائع حقًا وغدًا هو يوم " الحناء "صحيح؟

_أجل غدًا سوف نأخذ العروس من منزلها إلى منزل " الحناية " في موكبٍ كبير للغاية وكما أخبرتك من قبل أن " أفنان " تكون ابنة زعيم

القرية أي أن كل شئ سيكون كبيرًا وجميلاً أيضًا، هل تأتي معنا؟

هز مصعب رأسه بالنفي ولم تروق له فكرة الحضور:
_ بالطبع لا فأنا لا أحب الزحام والأصوات العاليه

أصرت والدة فتون وهي تقول بودٍ:
_تعال معنا يا ولدي ولن تندم ستستمتع كثيرًا

تنهد مصعب بقلة حيلة وقد شعر بالحرج من رفض طلب تلك المرأة التي بعمر والدته فقال:
_ حسناً سأحاول..

صفقن الفتيات بفرحة، فقد إقتنع هذا العنيد أخيراً، فنهضت والدة فتون واستأذنتهم لتعود إلى البيت، فقالت إحدى الفتيات الصغيرات بصوت حالم وهي تنظر إلى مصعب :
_اتمنى أن اتزوج بسرعة، هل تقبل أن تتزوجني يا سيد مصعب؟

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

إنفجر مصعب ضاحكًا وكتمت فتون ضحكتها بصعوبة فمد مصعب يده وحمل الفتاه ووضعها على قدمه قائلاً بمرح وهو يقرصها من وجنتها برفق:
_بالطبع أوافق ولكن كم عمر أميرتي الآن؟

رفعت الفتاه أناملها الصغيرة وهتفت ببراءة:
_خمس سنوات!

ضحك مصعب مجدداً وقد سرقت لُبه تلك الصغيرة المشاكسة:
_حسنًا يا عزيزتي سأنتظرك حتى تكبرين ثم أتزوجك.

صفقت الفتاه بيدها في سعادة، فإبتسمت فتون لهن ثم قالت وهي تنهض من مكانها، وتحدث الفتيات قائلة:
_ سأخلد إلى النوم، وأنتن يا صغيراتي إذهبن إلى بيوتكن فالوقت قد تأخر.

نهضت الفتيات وألقوا التحية على مصعب وفعلت فتون المثل وغادرن إلى بيوتهن، نهض مصعب هو الآخر، وذهب بإتجاه البيت فقد إنتهت

سهرته عند هذا الحد...

■ ■ ■

"سيدتي كيف حالك؟ "

إلتفتت نحوه السيدة علياء ومسحت بيدٍ مرتعشة على شعره الطويل متأمله قسمات وجهه :

_بخير يا بني كيف حالك أنت؟

أومأ موافقاً وهو يجيبها باسماً:

_الحمدلله في أحسن حال ..

ثم نظر جانبًا وتابع ببشاشة :

_ ومن هنا أيضًا، السيدة نرجس وجنيد البطل؟

ركض نحوه جنيد واحتضنه قائلاً بفرحة :

_صديقي اشتقتُ إليك

_وأنا أيضًا اشتقتُ إليك كثيرًا

إلتفت نحو السيدة علياء وسألها بإهتمام:
_ هل أتيتم لحضور مراسم العُرس؟

أومأت السيدة علياء موافقة ثم أجابته:
_أجل فمن عادات هذه القرية أننا نقف بجانب بعضنا البعض في الفرح والحُزن وفي كل شئ، فإذا تزوجت فتاه من فتيات القرية يشارك الجميع في تجهيزات عُرسها، هنا لا يوجد فرق بين أحد جميعنا شخص واحد.

ابتسم مصعب وقد لمعت عيناه بإعجاب حقيقي لأهل هذه القرية المُحبة ليقول:
_في كل يوم يزيد إعجابي بهذه القرية وبأهلها لولا هذا الظلام لكانت أفضل بالتأكيد!

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

ظهر الحزن جليًا على وجه العجوز وضربت الأرض بعصاها وهي تقول بحزم :
_مهما طال الظلام فهو لن يدوم طويلاً يا ولدي سيأتي اليوم الذي تشرق فيه الشمس من جديد .

جاءتهم فتون ورحبت بهم ثم هتفت بحماسة :
_ماذا تفعلون عندكم ستنطلق زفة العروس إلى بيت " الحناية " الآن.

قالت السيدة علياء وهي تشير بيدها ليتحركوا:
_هيا لنذهب إذن .

■ ■ ■

انتهى العُرس وكان مصعب سعيدًا بهذا الجو المليئ بالبهجة والفرح مرت أيام الأسبوع -الذي أخبر به صخر سندس- سريعًا وفي كل يوم يزيد تعلق مصعب بأهل القريه وقد شعر بالألفه بينهم وكأنه يعيش فيها منذ زمن، ومن بين هذا هو لن ينسى والدته التي كان على ثقة بما تشعر به الآن من خوفٍ وقلقٍ عليه كما أنه لم يقابل سندس مجددًا لتخبره على طريقه تعيده فيها إلى موطنه، كان كل شيء يسير بهدوء

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

في تلك القرية حتى جاء ذلك اليوم الذي كانوا يجلسون فيه أمام بيت فراس يتسامرون فجاءهم فراس والخوف يملئ قسمات وجهه، نهضت فتون ووقفت بجانب والدها وسألته بقلق:
_ماذا هناك يا أبتِ، ولمَ أنت خائف هكذا؟

جلس فراس وأخرج منديلاً قماشيًا وأخذ يمسح حبات العرق المتناثرة على وجهه بيده المرتعشه:
_هناك مذبحة قائمة في المدينه لقد تحولت إلى بحارٍ من الدم!

إتسعت حدقتاهم وهم ينظرون إليه بعدم تصديق، كان أول من يخرج من حالة الصدمة هو مصعب ليهتف بإنفعال:
_ولكن لماذا، ما سبب حدوث هذا؟

جاءت فتون بكوب من الماء وأعطته لوالدها الذي أخذه وشربه دفعه واحده، أبعد الكوب وهو يمسح بكمه بقايا الماء من على فمه، ليجيبهم:
_لقد أمر الملك بذبح كل من لم يدفع الضرائب لهذا العام ذبح الرجال والنساء حتى الأطفال لم يرحمهم لقد أصبحت المدينه مدينةً الدماء كما يطلق عليها البعض!

نهض مصعب من مجلسه وهتف بغضبٍ هادر :
_يذبحهم لأنهم لم يدفعوا الضرائب، هل جُنّ هذا الرجل يجب أن يوقفه أحد..

أجابه رضوان وهو يقول بقلة حيلة:
_ ومن ذا الذي يقف في وجهه؟!

إحتقنت الدماء في عروق مصعب وقد طفح به الكيل من هذا الحال ليصيح بإنفعال:
_إلى متى؟ إلى متى ستظلون خائفون منه، خوفكم وسكوتكم هو من أوصلكم إلى هنا.. وأوصلني أنا أيضاً، فأنا هنا أدفع ثمن شئ لم أفعله، وقد سجنت في هذا المكان لأجل غير مسمى!

نكس الجميع رؤسهم بخزي ولم يتفوهوا أو يعترضوا على حرف واحد مما قاله، فالجميع يعلم أن معه حق في كل شئ، إقترب منه رضوان بحزن، فهو الوحيد من بينهم الذي يعرف بقصة مصعب وأن ليس له ذنب في كل ما يحدث، فقط هو يعاقب على فضوله لا أكثر، أخذ يربت

على كتفه مهدئاً وهو يقول:
_هون عليك يا بني فلكل شئ نهاية.

_أجل، والنهاية قد اقتربت..

إلتفتوا جميعهم إلى مصدر الصوت فوجدوها العجوز سندس تقف بقامتها القصيرة وثيابها السوداء ممسكة بعصاها القديمة ذات رأس الأفعى ليهتفوا بصوت واحد:
_سندس؟

تقدم مصعب نحوها قائلاً:
_سيدتي متى أتيتي من المدينه؟

_لقد وصلت للتو فهناك شئ حدث في المدينه يجب أن تعرفه!

أومأ موافقًا وهو يقول بتوكيد:
_تقصدين المذبحة؟ أجل لقد أخبرنا عنها السيد فراس.

هزت رأسها بالنفي وأجابته:
_كلا أنا لا أقصد المذبحة بل دماء الأمير!

غضن مصعب حاجبيه وألتفت خلفه يتبادل النظرات مع من معه ثم نظر إليها بإهتمام قائلاً:
_ما بها؟

_لقد رأيتها اليوم وهي تغلي!

إزاد إنعقاد حاجبيه وهو لم يفهم شيئاً، فأقتربت منها السيدة علياء التي كانت تكتفي بالصمت منذ تلك الأخبار الكارثية التي اخبرهم بها فراس وقالت بإندهاش:
_تغلي؟

_أجل وهذا يحدث للمرة الأولى مذ حادثة الذبح!

حكّ مصعب رأسه ثم قال بعدم فهم :
_غريبٌ حقًا، ولكن ماذا كنتِ تقصدين بقولكِ أن النهاية قد اقتربت؟!

_ستعرف كل شئ في وقته المناسب!

قالتها بغموض ثم مدت يدها بورقة مطوية وأستطردت:
_هي لك.

أخذ منها الورقة وهو ينظر إليها بريبة، وقام بفتحها، ثم قرأ محتواها بصوت مسموع:
"جنود الملك قد يصلوا إلى القرية في أي لحظة يجب أن تأخذوا الشاب إلى أي مكان آخر، والمدينه أصبحت آمنة فالجنود لن يكرروا البحث فيها مجددًا ولكن عليكم توخي الحذر جيدًا "

فرغ من قراءتها ثم رفع رأسه :
_من أعطاكِ هذه الرسالة سيدتي؟

أجابته بنبرة حازمة؛
_لقد قلت لك ستعرف كل شئ في وقته المناسب.

زفر مصعب بإنزعاج:

_وما العمل الآن؟

أجابه رضوان قائلاً:

_بما أن المدينه أصبحت آمنه، فيجب أن نذهب إلى منزلي هناك وبسرعة فالوقت يداهمنا.

_وهذا ما سنفعله هيا لنذهب .

■ ■ ■

٩_

أخذ يطرق بأنامله على الطاوله الخشبية بملل، حانت منه إلتفاته نحو رضوان الذي كان يجلس على المقعد عاقدًا ذراعيه أمامه وقد تسلل النوم إلى عينيه ليغفوا مكانه زفر مصعب بضيق وهتف بحنق:

_والآن ماذا؟

إنتفض رضوان من غفوته وقد غلبه النوم وأعتدل في جلسته وهو ينظر حوله بأعين متسعة وقال متسائلاً بصدمة:

_ماذا؟

لوح مصعب بكفه في الهواء بغضب قائلاً:

_نحن هنا منذ أكثر من يومين، وليس هناك أي جديد هل سأظل مسجونًا في البيت طويلاً، القرية أفضل بكثير من هذه المدينه الكئيبة على الأقل كنت أجلس مع السيد فراس والآنسه فتون والسيدة علياء وخالد، أما الآن فأنا وأنت نجلس هنا ونتحدث مع الجدران لقد سأمت هذا الوضع!

هزّ رضوان كتفيه بقلة حيلة وقال:
_ومالذي يجب أن نفعله الأوامر كانت واضحة لا يجب أن تخرج من هنا.

نهض مصعب وقال بحنق وقد فاض به الكيل من ذلك المجهول :
_ يكفي هذا من هو ليملي عليّ ما أفعله؛ إن كان رجلا حقًا فليظهر نفسه لمَ يبعث بالرسائل ويهرب هكذا؟

هزَ رضوان رأسه بإيجاب وقال:
_أوافقك الرأي فالوضع أصبح لا يحتمل ولكن لا تنسى أنه من ساعدك في الهرب من ذلك السجن ويحاول حمايتك من بطش الملك و وزيره وجنوده بأي طريقة و..

قطع حديث رضوان صوت طرقات على باب منزله فنظر إليه مصعب وقال بصوت منخفض:
_هل تنتظر أحدًا؟

_لا، ربما يكون السيد فراس إذهب واختبئ في الغرفة ولا تخرج منها إلا إذا طلبت منك ذلك .

ذهب رضوان ليفتح الباب فلم يجد أحدًا هناك وكالمعتاد في هذا الموقف وجد رسالة ملقاة أمام الباب نظر حوله في المكان ثم أنحنى ليأخذها وولج إلى الداخل وقال وهو يقلب الرسالة في يده:
_يمكنك الخروج .

_من كان الطارق؟

_لا أعرف ولكنه ترك رسالة!

تأفف مصعب بضيق وسحبها من يدِ رضوان، ليقرأها
" لقد توقف جنود الملك في البحث عنك مؤقتًا، وأريد أن أقابلك في المساء في بيت القرية الذي كنت فيه، ولكن لا تخبر أحد "

رفع رأسه من على الرسالة ونظر إلى رضوان عاقدًا حاجبيه بتسائل :
_هل يعني هذا أنني وأخيرًا سألتقي بالشخص الذي يزعجني برسائله كل هذا الوقت؟

_أعتقد ذلك سننتظر حتى المساء ونرى!

_ولكن لمَ يريد مقابلتي في ذلك البيت ولمَ لا يأتي إلى هنا مباشرةً؟

_ربما يخاف أن يراه أحدٌ هنا أما في القرية فالوضع آمن بعض الشئ!

■ ■ ■

في اليوم التالي ذهب مصعب مع رضوان إلى بيت القرية ولم يخبروا أحداً كما طلب منهم صاحب الرساله، انتظروا قليلاً ثم سمعوا صوت طرقات خفيفة على الباب، فتحه رضوان ليجد رجلاً طويل القامة يغطي وجهه بوشاح أسود لم ينتظر الرجل إذناً بالدخول فتقدم إلى الداخل وأغلق الباب خلفة سار في المكان ثم جلس على المقعد بجانب الطاولة بهدوءٍ قاتل، إقترب منه مصعب بحذر وهو يتفحصه ثم سأله بإهتمام :
_أنت من كان يبعث لي بتلك الرسائل؟

هز الرجل رأسه بالموافقة وما زال محتفظًا بصمته، فتابع مصعب إستجوابه للملثم :

_إذن أنت من قام بتهريبي من السجن، ولكن لمَ تساعدني وأنت لا تعرفني حتى وما مصلحتك من كل هذا؟

عقد الرجل ذراعيه أمامه وأجاب ببرود مستفز:

_ليس لك الحق أن تسأل كل هذه الأسئله.

انزعج مصعب كثيرًا من الطريقة الفظة التي يحدثه بها هذا الغريب ليقول بضيق :

_ومن أنت؟

_يجب أن تسأل ماذا أريد وليس من أنا؟

ضغط على أسنانه بغيظ وسأله :

_وماذا تريد؟

ابتسم الرجل من تحت وشاحه وقال :

_الآن يمكننا التحدث؛ لقد ساعدتك في الهروب من السجن، يعني أنك مازلت على قيد الحياه بفضلي، والآن حان وقت رد الجميل!

إبتلع مصعب ريقه بصعوبة وقد توجس خيفة من الشئ الذي قاله هذا الرجل ومن المجهول الذي ينتظره، ثم إلتفت نحو رضوان الذي طالعه بنظرات قلقه أيضاً، ونظر إلى الجالس على المقعد أمامه وقال مضيقًا عينيه ليسأله بحذر:
_ومالمطلوب؟

نهض الرجل من مجلسه ووقف أمام مصعب بطوله الفارع ليقول:
_سأتي إليك في مساء الغد وأخبرك بكل الذي يجب عليك فعله، ولكن انتبه فالخطأ هنا سيكلفك حياتك!

قالها وهو يمرر يده على رقبته، استفز مصعب هذا التصرف فهتف بغضبٍ هادر وقد وصل ضيقه إلى ذروته من هذا الرجل ومما يحدث معه :
_ومالذي يجبرني على مساعدتك؟
لم يحرك غضب الأخير وإنفعاله في الرجل شيئاً وظل محتفظاً بهدوئه

الذي استفز مصعب كثيراً فأجابه:
_أنسيت انني من تسبب بتهريبك لو لم أفعل ذلك في الوقت المناسب لكنت الآن ميت، هذا يعني أن حياتك أصبحت ملكٌ لي الآن!

مسح مصعب وجهه بحنق وقد نفد صبره ثم صاح فيه بغضبٍ هادر :
_ومن أنت؟

إقترب منه رضوان وأخذ يربت على كتفه :
_إهدئ يا بني قد يسمع أحدهم صوتك.

لوح مصعب بيده وأشار إلى الجالس أمامه وقال بضيق:
_ألا تسمع ما يقوله هذا الرجل؟

ثم حوّل نظره إلى الواقف أمامه وأخذ نفساً عميقاً وقال بهدوء :
_وإن لم أوافق على ما تريد؟

هزّ الرجل كتفيه بلامبالاه وقال ببرود :
_سوف اسلمك إلى الملك!

خانته قدماه فلم يستطع الوقوف أكثر إستند بذراعه علي كتف رضوان ليجلسه الأخير على المقعد، قال الرجل وهو يهم بالإنصراف بلامبالاة:
_كما أخبرتك سأتي إليك في المساء وأخبرك بكل شئ كن على الموعد.

قالها ثم خرج من البيت فتنهد مصعب بتعب ووضع رأسه بين يديه وهو ينظر إلى الأرض بتيه:
_مالذي فعلته في نفسي، مالعمل الآن؟!

سحب رضوان مقعدًا آخر وجلس أمامه وقال بثبات :
_من رأيي أن تفعل ما يريده منك وأنا على يقين من أنه لن يؤذيك؛ ولو أراد ذلك لما قام بتهريبك منذ البداية، سننتظر إلى الغدِ لنعرف مالذي يريده منك.

هزّ مصعب رأسه بالموافقه ولم يعقب..

■ ■ ■

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

_ لا تصدر أي صوت سوف ندخل من بابٍ سري لا يعرفه أحد.

_وكيف عرفته أنت؟

نظر الرجل إلى مصعب بضيق ولم يجبه، تلفت حوله ليتأكد من خلو المكان ثم مدّ يده وأزال فروع الأشجار الطويلة التي تغطي السور ليظهر باب خشبي يحمل لون السور نفسه، لولا أن الرجل قام بفتح الباب أمامه لظن أنه جزء من السور!
دخل مصعب خلفة وأغلق الرجل الباب ثم سارا في ممر طويل مضاءٌ بالمشاعل فقال مصعب وهو ينظر حوله:
_أين نحن الآن!

_هذا الممر سيوصلنا إلى داخل القصر وتحديدًا إلى الغرفه التي ستمكث فيها أنت.

صمت مصعب هنيهة ثم عاد يسأله من جديد:
_ ألم تخبرني بالشئ الذي تنوي فعله ولمَ أنا في قصر ذلك الملك؟

توقف الرجل عن السير ثم إلتفت نحوه وقال بنفاد صبر :
_ لمَ تسأل كثيرًا أيها الفتى، أخبرتك أنني سأقول لك كل شئ في وقته المناسب.

ذَمّ مصعب شفتيه بضيق وتمتم بكلمات غير مسموعة، ثم أكمل طريقة بصمت حتى وصلا إلى غرفه واسعه بها فراشٌ كبير وطاولة صغيرة، وصناديق خشبية ضخمة ومرآة متوسطة الحجم، قال الرجل وهو يشير إلى الغرفة :
_من الآن وحتى إنتهاء مهمتك ستكون هذه غرفتك التي ستمكث فيها، ليس لها أبواب إلا هذا الباب الذي دخلنا منه.

ثم ذهب وحرك إحدى الصناديق الكبيرة ليظهر من خلفها بابٌ صغير يسمح بمرور شخص واحد وهو يحني ظهره:
_وهذا الباب الذي سيأخذك إلى داخل القصر .

_وكيف لا يستطيع أحد رؤيته من داخل القصر؟

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

حاول الرجل استدعاء كل طاقات الصبر التي في العالم ليتحمل فضول وتساؤلات هذا الفتى المزعج الذي أوقعه حظه معه، أجابه الرجل وهو يكز على أسنانه:

_لأنه موجود في غرفة قديمة لا يدخلها أحد .

_حسنًا لقد فهمت.

_و الآن يمكنك الذهاب إلى النوم، تصبح على خير.

قالها ثم إنصرف مسرعاً قبل أن يعاود مصعب طرح اسئلته من جديد، رفع مصعب رأسه ونظر إلى سقف الغرفة المزخرف بنقوش صفراء غريبة وأخذ يدور في الغرفة ثم جلس على طرف الفراش وهو يمسح وجهه بتعب قائلاً بحسرة:

_كل ما يحدث معي الآن بسببي وحدي؛ لطالما منعني الكبار من الإقتراب من ذلك الباب لو أنني كنت استمع لغيري ولو لمرة واحدة في حياتي مرة واحدة!

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

صمت لبرهة يتذكر ما حدث معه والأمور الغريبة التي عرفها من مقابلته الأخيرة مع هذا الرجل!

.

.

.

***قبل عدة ساعات...**

وقف مصعب أمام الرجل الملثم الذي اصبح يهدده وكاد يصيبه بالجنون وقال بحنق:

_إذن مالذي تريد مني أن أفعله؟

تكلم الرجل ذو الوشاح الذي يغطي نصف وجهه ولايظهر سوى عينيه السوداء كالظلام الذي يحيط بهذا العالم :

_مؤكد أنهم أخبروك أنك تشبه الأمير تيم إلى حدٍ كبير..

اومأ مصعب موافقاً بصمت، فتابع الرجل:

_ونريد أن نستغل هذا التشابه لتحقيق غايتنا!

إلتفت مصعب بعدم فهم نحو رضوان وسندس التي جاءت مع ذلك الملثم مما أثار ريبته، ثم نظر إلى الرجل قائلاً:
_وما الغاية التي تريد تحقيقها؟

_الإنتقام!

_مِمن؟

تنهد الرجل ثم أنزل الوشاح لأول مرة ليظهر من تحته وجهٌ قمحي بملامح هادئة ذو لحيه سوداء يتخللها بعض الشعر الأبيض:
_دعني أعرفك بنفسي أولاً "نزار" هذا هو اسمي وأنا جندي من جنود الملك وقد كنت أنا والأمير تيم أصدقاء منذ الطفولة لم نترك بعضنا أبدًا إلا قبل الحادثة بأسبوعٍ واحد حيث كنت مسافرًا مع والدي خارج المدينه وعندما عُدت من رحلتي علمت بما حدث له وهنا عاهدت نفسي أنّي لن أذق طعم الراحة إلا عندما انتقم من ذلك المجرم وأنا لست بمفردي من يريد الإنتقام هناك الكثير غيري يريدون ذلك فالشئ الوحيد الذي إستطاع نُعمان كسبه طوال حياته هو الكره والغضب من

رعيته ولذلك إجتمعنا معًا كي نحقق هذا الإنتقام، وقد أخبرنا صخر أن الوقت قد حان وأعطانا إشارة تؤكد هذا وهي دماء الأمير التي تغلي .

_وماهي الخطة ؟

قالها مصعب بهدوء، ليبتسم نزار قائلاً بفرحة حقيقة ظهرت في عينيه وفي نبرة صوته بوضوح:
_هل هذا يعني أنك موافق؟

_أجل مؤكد أن وجودي هنا له سبب وأعتقد أنه السبب الأقوى وهو تحقيق الإنتقام من ذلك الظالم..

_إتفقنا إذن ستأتي معي إلى القصر ولا تقلق سأضعك في مكان آمن لا يعرفه أحد..

_مهلا لحظة؛ أنا لا أعرف ما هي مهمتي؟

إلتفت نزار إلى العجوز سندس الجالسه في سكون وقال:

_سيدتي أخبريه رجاء.

رفعت العجوز رأسها وأرسلت تنهيدة ثم قالت بهدوء، محاولة شرح وتبسيط الأمر الذي قد لا يصدقه مصعب ولا يدخل عقله العنيد هذا، وهي تقول بحدية:

_هناك حقيقة مؤكدة في مدينتنا كتبت في الكتب وعلى جدران المعابد والقصور منذ آلاف السنين، تقول أن الشخص إذا قُتلّ ظلمًا سوف تظهر روحه للشخص الذي قتله وتقوم بالإنتقام منه وهذا ماستفعله أنت ستظهر له على أنك روح الأمير وتريد أن تنتقم منه، لا ننكر أننا حاولنا مراراً الإنتقام من نُعمان ولكن جميع المحاولات كانت تبوء بالفشل على الدوام، حتى أمرنا صخر بالتوقف، فالوقت لم يحين بعد!

اومأ نزار موافقاً على ماقالته سندس واضاف بتوضيح:

_ السبب من ذلك هو أن نجعل الناس يثورون على نُعمان، ويخرجون عن صمتهم، فإن عرفوا أن روح الأمير قد عادت للإنتقام، لن يعودوا خائفين منه، وسينقلبون عليه وعلى حكمه، فالناس تنتظر اليوم الذي تعود فيه روح الأمير للإنتقام منذ زمن!

رفع مصعب حاجبيه وقال بإستنكار:
_كيف ينتظرون هذا اليوم، وهل هناك من يصدق تلك الخرافة؟

أومأت سندس موافقة وأجابته مؤكدة:
_ما تسميه أنت بالخرافة الناس هنا تسميه معتقد يا ولدي، أنت في ديجوريا بلد السحرة.. تحضير الأرواح هنا كالماء الذي نشربه، ألم تلحظ جنود الملك المحاوطين لساحة المدينة خوفاً من أن يأتي أحد السحرة ويحضر روح الأمير من الدماء، وذلك الطوق الخشبي ذو الاشواك الحادة المعلق على الأبواب، أظننت أنه للزينه إنه يحميهم من الأرواح!

لوى مصعب شفتيه بعدم تصديق ثم قال:
_ إن كانت هذه الخرافة صحيحة فلمَ لم يأتي الأمير وينتقم منه إلى الآن؟

_ هذا لأن الأمير كان يحمل روحًا نقيه لا تحب الدماء والإنتقام، كما أن الروح تظل تتعذب حتى تنتقم من قاتلها، ولأن الأمير لن ينتقم قام

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

صخر بقراءة تعويذة تجعل روحه ترقد بسلام، حتى لا يظل يتعذب إلى الأبد، هذا الشئ لا يعرفه الملك ولا أي أحد في المدينة معادانا نحن.

صمت مصعب مفكراً فالعقل والمنطق لديه لا يستطيعان تصديق ما يسمعه، ففي عالمه الأرواح والاشباح ليس لهم وجود من الأصل وإنما هم خرافات يقومون بتخويف الأطفال بها وضعيفي الإيمان والمعرفة، أما هنا فالأرواح وعودتها للإنتقام إنما هي رواسخ وثوابت حقيقية، هز مصعب رأسه وألتفت نحو سندس محاولاً توكيد حجته وتأكيد أن لا مكان للأرواح فقال:
_الأمير ليس أول من قُتل ظلماً، فلمَ لم تظهر روح أي أحد منهم لنُعمان؟

تنهدت سندس بتعب وهي تقول بإيجاز:
_ومن قال أنها لا تظهر؟ نعمان يستعين بأمهر السحرة والمشعوذين في المدينة ومن بينهم أنا ليحصنوه من تلك الأرواح..

غضن مصعب حاجبيه، فكل اجاباتهم أقرب للحقيقة وكاد عقله يصدق

تلك الخرافات، أرسل تنهيدة طويلة وقال بتردد:
_وهل ستنطلي خدعتكم هذه على نُعمان؟

حاولت سندس التحلي بالصبر لتجيب على تساؤلات ذلك الفضولي الذي كاد يجعلها تصاب بالجنون، أومأت موافقة وقالت مؤكدة :
_ نُعمان هو أكثر شخص يصدق هذا، هل تعرف السبب الرئيسي في ذبحه للأمير، في الإحتفال بمولد الأمير جاء للملك مشعوذ يدعى "شمعون" قال له إن ابنه هذا سيكون سببًا في هلاكه بسبب قلبه الطيب الذي سيجعل الجميع يحبونه، وينقلبون ضد الملك ولهذا السبب طلب نُعمان من الأمير أن يصبح قاسيًا حتى لا تتحقق نبوأت ذلك المشعوذ؟

غضن مصعب حاجبيه وهو يتمتم بإشمئزاز من ذلك الملك القذر:
_ما هذا الرجل الغريب، يذبح ابنه بسبب نبوءة لمشعوذ، ولكن ألن يشكُ في الأمر؟

هزّ نزار رأسه بالرفض وأجاب بثقة :
_لا تقلق فكل شئ مخططٌ له جيدًا.

ثم إلتفت نحو سندس وأستطرد :
_وأنتِ تعرفين مهمتكِ سيدتي.

ابتسمت سندس بدهاء وقالت بتشفي وهي تنظر أمامها:
_أنا أنتظر لحظه نهاية هذا الرجل على أجِر من الجمر..

.

.

.

.

***عودة إلى الوقت الحالي..**

كان نُعمان يجلس في إحدى الغرف ممددًا جسده على الأرض الممتلئة بالوسائد وبجانبه بعض الجواري اللاتي يقمن بإطعامه حبات العنب والتفاح عندما جاءه أحد الحراس ومعه رساله إلتقطها منه الملك ثم أشار له بالإنصراف فتح الرساله بملل ومالبث أن إتسعت عيناه وهو يمررها بين الكلمات التي كُتبت بالدم..
"إقتربت نهايتك يا أبي "

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

نهض فزعًا من مكانه وصرخ بغضبٍ في الفتيات اللاتي ما إن سمعن صراخه حتى ركضن خارج الغرفة قبل أن يصب عليهم جام غضبه، نادى على الحارس بصوتٍ جهوري ليأتيه الأخير وهو يرتعش خوفًا كالفأر الذي سقط فى الماء البارد :

_أمرك يا مولاي؟

رفع نُعمان الرسالة التي ما زال يمسكها وصاح فيه قائلاً:

_من الذي أعطاك هذه الرساله ؟

_إنها إحدى الخادمات التي تقوم بتنظيف غرف القصر

_أحضرها لي الآن.

إنحى الحارس ثم ذهب مسرعًا وجاء ومعه الخادمة، سألها الملك وهو يشير بالرسالة :

_من الذي أعطاكِ هذه الرسالة؟

قالت في إرتباك وهي تنظر إلى الأرض وتفرك يداها بتوتر :

_لقد وجدتها ملقاة داخل غرفة الأمير ومكتوب عليها أنها لك يامولاي!

تمتم نُعمان بخوفٍ حاول جاهداً اخفاءه ثم قال بحنق:

_غرفة الأمير... حسنًا يمكنكما الذهاب .

■ ■ ■

١٠_

دخل نزار إلى الغرفة وأيقظ مصعب الذي استيقظ معه بصعوبة وجلس على الفراش يفرك عينيه، ليأتيه صوت نزار وهو يسأله بهدوء:
_هل نمت جيدًا؟

هز الآخير رأسه موافقاً ثم قال:
_متى سنبدأ؟

_في المساء

جلس مصعب على طرف فراشه وقال بتهكم:
_صباحٌ كان أو مساء لا يشكل ذلك فرقًا عندي!

أجابه نزار قائلاً بجدية وهو يضع ما يحمله على الطاولة الخشبية في إحدى زوايا الغرفة:
_لا يشكل فارقاً عندك لأنك غريبٌ عن مدينتنا؛ أما نحن فقط إعتدنا

على ذلك منذ ثمانية وعشرون عامًا، واستطعنا أن نفرق بين الصباح والمساء جيدًا؛ هيا تعال وتناول فطورك.

■ ■ ■

نهض نُعمان من على كرسي عرشه المصنوع من الذهب والمرصع بالجواهر الثمينه والأحجار الكريمه النادرة ..وقال موجهًا حديثه إلى الحارس :

_هل مازالت الدماء تغلي؟

أجابه الحارس المسؤول عن حراسه ساحة المدينة وهو يحني رأسه قائلاً بإحترام:

_أجل يا مولاي هي على هذا الوضع منذ أكثر من أسبوع!

غضن نُعمان حاجبيه ونظر إلى بقعة ما في الفراغ، وأخذ يملس على لحيته الطويلة، ثم قال بأمر دون أن يرفع نظره حيث ينظر:

_أحضر لي العرافة سندس على الفور..

إنحنى الحارس ثم خرج من المكان مسرعاً، مر بعض الوقت قبل أن تأتي سندس وهي تتوكأ على عصاها، إنتظرها حتى وصلت إليه، فقال بجمود:

_ما قصة تلك الدماء يا سندس، ألن نرتاح منها بعد؟!

أرسلت سندس تنهيدة طويلة ثم أجابته بهدوء مريب:

_كما أخبرتك من قبل يا مولاي الملك وجود الدماء على الأرض يعني أنها لن تختفي إلا إذا عادت روح الأمير!!

انفجر الملك ضاحكًا ثم قال بسخريه لاذعة:

_أمازلتي عند رأيك كل هذا الوقت؛ فقد قُلتي لي نفس هذا الحديث بعد ذبح الأمير وهأنذا لم يحدث لي شيئًا، وأميركم المزعوم لم يظهر حتى الآن!

نظرت إليه سندس نظرة استطاعت أن تسري الرعب في بدنه، وقالت بوجوم:

_أجل، لم يحدث لك شئ؛ لكن هذه المرة حدث شئ مختلف وهي دماء الأمير التي تغلي؛ ولقد عرفت أيضًا أن جنودك الذين يحرسون الدماء

عندما رؤها تغلي بهذا الشكل المخيف سكبوا عليها الماء فأزداد غليانها صمتت هنيهة قبل أن تتابع بصوت مخيف:
_تلك الدماء لن ولم تهدأ إلا بالإنتقام!

إزدرد الملك ريقه بصعوبة، وصمت قليلاً يفكر في كلامها وتذكر الرساله التي جاءته في ليله أمس، قطع تفكيره صوت سندس وهي تقول بصوتها القوي:
_أجدادنا القدامى قالوا أن عندما يصبح القمر بدرًا فإن أرواح الذين قُتلوا تعود لتنتقم من قاتلها؛ والليله يكون فيها القمر بدرًا!

إقشعر بدنه اثر سماع تلك الكلمات من هذه العجوز، هو يعرف أن معها حق، وهو أكثر من يؤمن بتلك الأساطير، فمنذ زمن بعيد وهو يكره الليلة التي يكتمل فيها القمر، ويحيط فراشه بتلك الأطواق الخشبية لتحميه من إنتقام الأرواح الذين سفك دمائهم ظلماً وجوراً، وعلى رأسهم الأمير، إلتفت نحو سندس التي كانت تتابعه وقد قرأت ما بداخله وعرفت ما يدور في ذهنه، لتجده يشير لها بيده بالإنصراف وهو يقول بصوت خرج مهزوزاً بعض الشئ:
_حسنًا ..إذهبي أنتِ الآن.

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

غادرت سندس المكان وهي تبتسم بخبثٍ وتقول محدثة نفسها
_وأخيراً سيأتي اليوم الذي أرى فيه موتك، لقد إقتربت نهايتك أيها الظالم!

■ ■ ■

"هل أنت جاهز للبدء في التنفيذ؟"

_أجل..

قالها مصعب وبداخله خوف كبير مما هو قادم، فخرج نزار من الغرفة وجاء بعدها ومعه رجلاً عجوزًا يحمل حقيبة مصنوعه من القماش على كتفه ..قال نزار للرجل وهو يشير إلى مصعب:
_ها هو الشاب الذي أخبرتك عنه، يمكنك أن تبدأ العمل الآن.

إلتفت مصعب نحو الرجل ثم حوّل نظره إلى نزار الذي كان قد فهم طبيعة مصعب الفضولية والكثيرة التساؤلات فقال بإيجاز:

_إنه السيد مسعود، يعمل في صناعه التماثيل؛ وهو من سيقوم بتجهيزك لتكون بنفس هيئة الأمير

ثم هزّ رأسه وتابع حديثه:
_ولا تقلق إنه من رجالنا

أومأ مصعب موافقاً وتقدم إلى حيث يشير الرجل وجلس على مقعد صغير ثم أفرغ محتويات حقيبته على الطاولة وبدأ في عمله..

■ ■ ■

أمسك بكأس الشراب وأفرغه في فمه دفعه واحدة ثم قال وقد بدأ الدخول في حاله من السُكر:
_ليس هناك أي أخبار عن ذلك المتمرد، أو ذلك الخائن الذي قام بتهريبه؟

هزّ الوزير رعد رأسه بالنفي ثم أرسل تنهيدة طويلة قبل أن يجيب بإنزعاج:

_لا، ليس بعد، لقد بحثنا عنه في كل المدينه والقرى المجاورة ولا وجود لأثر أي منهم؛ ولكن لا تقلق فجنودنا ينتشرون في كل مكان ومؤكد سيجدونه..

رفع الملك سبابته في وجه الوزير وقال محذرًا:
_أريده حيًا أو ميتًا ..فتمرده سيجعل الشعب يتمرد مثله وحينها لن نستطيع إيقافهم!

_لا تقلق يامولاي سنجده في أقرب وقت أعدك بذلك.

هز نُعمان رأسه وقد شعر بها قد ثقلت وكأنها صخرة، ثم أمسك بقنينة الشراب وأفرغ ما تبقى منها في الكأس، كان على وشك وضعه على فمه حتى أفلت من يده ونزل على الأرض الرخامية مهشمًا؛ شحب وجهه وأصبح كالأموات وأخذ يتمتم:
_إنه.. هو ..إنه هو!

نظر إليه رعد بعدم فهم وهو يسأله:
_ماذا هناك يا مولاي؟

جحظت عينا نُعمان وهو يتأتئ بأحرف مبعثرة:
_تـ.. تـ..يم

_ماذا؟

قالها رعد بصدمة، ثم هزّ رأسه وقال بجديه:
_مولاي.. لقد شربت كثيرًا اليوم وهذا جعلك تهلوس!

ثم نظر خلفه فلم يجد أحدًا، فألتفت نحو نُعمان وتابع:
_لا يوجد أحدٌ هنا غيرنا يا مولاي..

قاطعه نُعمان وهو يضرب المقعد الذي يجلس عليه بقبضته ويهتف بغضب:
_ لمَ لا تصدقني لقد كان هنا!

تجاهله رعد ثم نادى بصوتٍ جهوري على الحارس الواقف أمام

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

الغرفة :

_أيها الحارس..

جاءه الحارس وأنحنى لهما، ليسأله رعد قائلاً بوجوم:

_هل رأيت أي أحد دخل أو خرج من الغرفة؟

هز الحارس رأسه بالنفي وهو يقول بثقة:

_لا.

_حسنًا ..يمكنك الإنصراف.

إلتفت إلى الملك فرأه منكمشًا وقد هربت الدماء من وجهه وظل يتمتم بكلمات مبهمة!

_أرأيت لم يدخل الغرفة أحد، وهيا يكفي ما شربته اليوم والذي كان قد منعك منه الطبيب بسبب صحتك التي تسوء يوماً بعد يوم..

تجاهل نُعمان ما قاله رعد وهتف بإصرار:

_كان هنا أقسم لك، لقد رأيته بـعيناي هاتين كانت رقبته مليئة بالدماء

ووجهه شاحبًا!

_إنه من تأثير المشروب يا مولاي!

تابع نُعمان حديثه وكأنه لم يسمعه:
_كان يمسك في يده ذلك الخنجر الذي أعطيته إياه عندما كان صغيرًا، كان يمرره على رقبته وكأنه يهددني..

مسح رعد على وجهه بضيق وقال بنفاد صبر:
_مولاي! لقد أخبرتك أننا في هذه الغرفة بمفردنا والأمير تيم مات منذ ثمانية وعشرون عامًا، ولن يعود مجددًا!

_لا..لا.. لقد عاد لينتقم مني والليلة هي ليله إكتمال القمر وأرواح الأموات تعود لتنتقم ممن قتلوها!

_هذا لن يحدث يا مولاي، لو كان يريد الامير الانتقام ما كان لينتظر كل تلك الأعوام!

_لقد رأيته .

صمت رعد هنيهة وقد فاض به الكيل، فنُعمان لا يستمع لما يقوله وكأنه يتحدث مع نفسه، زفر بضيق قبل أن يقول بحزم:
_يُفضل أن ترتاح قليلاً فأنت تبدو مرهقًا للغاية .

وقبل أن يتفوه الملك بأي كلمة أخرى، أمسكه رعد عنوة وساعده على النهوض أسنده حتى أوصله إلى فراشه، ثم خرج من الغرفه وهو يكتف يده خلف ظهره وقال بتفكير:
_الأمير تيم كيف؟

وقف أمام الحارس وقال آمرًا:
_أريدك أن تفتح عينيك جيدًا ولا تسمح لأحدٍ بالدخول عند الملك فهو متعبٌ و يحتاج للراحه .

أومأ الحارس موافقاً ثم قال بإحترام:
_أمرك سيدي

■ ■ ■

جلس مصعب أمام المرآة وأخذ يمسح ما وُضع على وجهه من ألوان لتبدو هيئته كالأموات، فقال وهو ينظر إلى نزار في انعكاس المرآة:
_كان يبدو خائفًا للغاية!

وقف نزار خلفه عاقداً ذراعيه وقال باسمًا:
_وهذا ما نريده، أن يخاف فجزء كبير من نجاح خطتنا مبنيٌ على خوفه..

_والحمدلله أنني غادرت قبل أن يراني الوزير رعد، هذا الرجل يبدو مخيفًا للغاية ولكن ما جعله متأكد أن الملك يتوهم هو قول الحارس بأنه لم يرى أحد يدخل الغرفة!

_هذا الحارس من رجالنا ..ستجد منهم الكثير في هذا القصر!

_وهل سأستمر في الظهور له كثيرًا ؟

_نعم ولكن ليس يوميًا حتى لا يُشك في أمرنا

_أتمنى أن ينتهي كل هذا واترك هذا المكان المخيف

_لا تقلق لم يتبقى سوى القليل

■ ■ ■

إنحنت سندس بقامتها القصيرة أمام الملك وقالت بإحترام زائف:
_مولاي الملك ..أخبروني أنك تريدني..

نهض من على عرشه ونزل على الدرجات الرخامية المغطاه بالبساط الأحمر الفاخر حتى وقف أمامها وقال بصوتٍ منخفض:
_لقد رأيته!

ضيقت عيناها وأدعت عدم معرفتها بالأمر وقالت:
_من؟

_الأمير تيم! لقد رأيته ليلة أمس في غرفتي وكان يحمل خنجرًا

ويهددني بالذبح!
أجابته سندس بشئ من اللامبالاة وقالت بتلقائية:
_لقد أخبرتك أنه سيعود!

كاد يبكي وهو يترجاها قائلاً بتوسل:
_إفعلي أي شئ لتبعديه عني وسأعطيكِ كل ماتطلبين!

نظرت إليه فرأت الخوف والضعف يملأن قسمات وجهه فقالت بهدوء:
_سأقيم طقوسًا خاصة هنا في القصر ونرى مالذي سيحدث بعدها.

قال متلهفًا:
_متى؟

_الليلة..

_ولمَ ليس الآن؟

_نحن الآن في الصباح وهذه الطقوس لا تقام إلا في المساء؛ كما أنني

سأستعين ببعض الجن لمساعدتي، وهم لا يظهروا لي إلا في المساء .

تجمدت الدماء في أطرافه وهو يتلفت حوله بذعر:
_جن، هنا في القصر؟!

ابتسمت بتهكم وهي تراه وقد أصبح كالفأر المبلل، وقالت ساخرة:
_إنهم معنا في كل مكان يا مولاي! ولا تخف هكذا إنهم هنا لمساعدتي ولن يؤذوا أحدً إلا بأمِر مني أنا.

قالت جملتها الأخيرة وهي تضغط على كل حرف تنطقه، ثم قالت محدثه نفسها..
"الخوف يملأ قلبك أيها الظالم ..وهذا الخوف سيكون أكبر دافِع لنا انتظر وسترى كيف كل من في المدينه سوف يقف ضدك ..أيامك في هذه الحياة أصبحت معدودة "

.

.

.

في المساء، وفي غرفة مغلقة لا ينيرها سوى تلك الشموع السوداء

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

المتراصة على الأرض على شكل دائرة، وعظام وجماجم والعجوز سندس تتوسط الدائرة وهي مغمضة العينين وتتمتم بطلاسم وكلمات غير مفهومة، إهتز كل شئ في المكان وبما فيهم الملك الذي كاد يسقط أكثر من مرة من على مقعده عندما يسمع صوتٌ مخيفٌ في الغرفة، رفعت سندس يدها وفي لحظه واحدة توقف كل شئ عن الإهتزاز..
كانت سندس لا تقيم إلا طقوساً لتحضير مساعديها من الجن لبث الرعب في قلب نُعمان لا أكثر، فتحت عيناها التي كانت حمراء كالدم وهي تقول بصوت مخيف وكأنه ليس صوتها:
_إنه لن يخرج إلا في حالة واحدة فقط!

سألها متلهفًا :
_وما هي!

نظرت إليه وقالت بنفس الصوت المخيف :
_أن يذبحك بنفس الطريقة التي ذبحته بها وفي نفس المكان أيضًا!

نهض من مجلسه وقال بغضبٍ ليخفي خوفه الذي بات ظاهرًا على وجهه:

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

_ماهذا الهراء الذي تتفوهين به يا أمرأة؟ يبدو أنني أخطأت عندما أحضرتك إلى هنا أيتها العجوز..

قال هذه الكلمات فأهتز كل شئ حوله وما هي إلا ثوانٍ وشعر بيدٍ ساخنه تقبض على عنقه بعنف وانفاسٍ حارة تلفح وجهه الذي هربت منه الدماء وتحول لونه إلى الأزرق الشاحب...رفعت سندس يدها وقالت بلهجة آمره :

_اتركه!

رجع جسد نُعمان إلى الخلف بقوة حتى كاد يسقط على ظهره، فجلس مسرعاً على المقعد يسعل بشدة ويحاول إلتقاط أنفاسه فقال بصوت مبحوح:

_ماهذا الذي حدث للتو؟

_إنه أحد اتباعي لم يعجبه ما تفوهت به منذ قليل، فأراد أن يُعلمك بوجوده!

_أعتذر منكِ أنا لم أقصد الإساءة ولكني أحضرتك إلى هنا لتجدي لي

حلاً وأنتِ تقولين أنه لن يخرج إلا بذبحي!
غضنت سندس حاجبيها وهتفت بضيق:
_هذا ليس بشئ جديد يا مولاي، فأنت تعرف ما هو السائد في مدينتنا، الأمير قُتل ظلماً ولن نستطيع إيقافه..

هتف نُعمان بالمقابل:
_ولماذا لا يراه أحدٌ غيري؟

_لأنك أنت المقصود من كل هذا، أنت من يريد الإنتقام منه!

نكس الملك رأسه وقال بأسى وبندم حقيقي:
_أستحق ذلك، أنا من جعل الأمور تصل إلى هذا الحد؛ كنت أخشى أن تصدق نبوأت ذلك المشعوذ، وظننت أنه عندما أقوم بتهديده سيخاف ويفعل ما أريد ولكنه ظلّ متمسكًا بقراره حتى آخر لحظه في حياته، و لو توقفت ولم أذبحه سيظن الناس أنني شخصٌ ضعيف منعه حبه لإبنه من تنفيذ تهديده كنت مغيبٌ تمامًا؛ أعماني غروري وجشعي، أستحق كل ما يحدث معي!

نظرت إليه سندس بجمود ولم يحرك حزنه وندمه بداخلها أي شئ، حتى شعور الشفقة ليس له مكان عندها تجاهه، ذلك عدل الله في أرضه فالعين بالعين والبادي أظلم، ربما شمعون كانت نبوئته صادقة، هو فقط لم يحدد مقصده جيداً، فبحياة الأمير أو بموته سيكون الأمير سبباً في هلاك الملك!

■ ■ ■

أيام معدودة وكان الخبر قد أنتشر في أرجاء المدينة ونواحيها عن ظهور روح الأمير تيم التي عادت للإنتقام من ذلك الظالم، كان ذلك الخبر كطوق النجاة وبريق الأمل في نفوس الناس، فهم ينتظرون هذا اليوم منذ زمن بعيد وقد فقدوا الأمل من أن يأتي يوم يكون هو نهاية هذا الظلم والظلام..

جلس مصعب بجانب رضوان وقال وهو يفرك كفيه بتوتر :
_ماذا لو كُشف أمرُنا؟

ابتسم نزار وهو يقول بثبات:

_هل أنت خائفٌ أيها الأمير؟

هتف مصعب في ضيق:
_أنا لست أميرًا، أنا فتى بسيط كان يعيش مع أهله في سلام لولا فضولي الذي يوقعني دائمًا في المصائب لما كنت هنا في هذا المأذق!

لكزه رضوان في ذراعه كي يصمت حتى لا يُكشف أمره، فقال بسرعه ليجعله يتوقف عن الحديث وهو يحدث نزار :
_ومتى سينتهي كل هذا؟

تنهد نزار بتعب وأجابه بجدية:
_غدًا إن شاء الله سيكون آخر يوم، فالملك قد أصابه الجنون والأطباء قاموا بحجزه في غرفته وحتى إن لم يظهر له الأمير يظل يهتف طوال الوقت أنه يراه أمامه، وهذا ما نريده، أن يُجن!

ثم حوّل نظره إلى مصعب وتابع بقوة:
_هل أنت جاهز للخطوة الأخيرة من مهمتك؟

هز مصعب رأسه بالموافقة فأردف نزار قائلاً وهو ينهض من مجلسه:
_إذن
هيا بنا لنرجع إلى القصر..

■ ■ ■

١١_

يقال أن من أبكى الناس ظُلماً أبكاه الله ذُلاً وقهراً، وأذاقه عذاب الدنيا والآخرة، إنتهت قصة فرعون بالماء، وإنتهت قصة النمرود ببعوضة، وأنتهت قصة أبرهة بالحجارة.. الحياة مهما طالت لن تدوم طويلاً ولابد لها من نهاية، فكيف لظلمٍ أن يدوم!

جاء اليوم المشهود... يوم إنتظره الصغير قبل الكبير، يوم سيسطر في التاريخ ويتذكره الجميع..
نهض مصعب وهو يتأمل هيئته في المرآة وقد بدا شاحباً وكأنه عاد من الموت للتو كان يرتدي قميصاً أبيضاً طويلاً وبنطالاً باللون نفسه، وقد أخبره نزار أن هذه الثياب تتطابق تماماً مع الثياب التي كان يرتديها الأمير يوم الذبح، إستدار نحو نزار الذي كان شارداً في نقطة ما في الفراغ وهو يحاول إخفاء توتره عن مصعب وعن الجميع، ففشل مهمتهم يعني موتهم ونهايتهم جميعاً، أخذ نفساً عميقاً وأخرجه ببطئ قبل أن يرفع رأسه وينظر إلى مصعب قائلاً بجدية:
_مطلوبٌ منك أن تتبعه حتى يخرج من القصر ويذهب إلى ساحة

المدينه وتحديدًا عند الدماء!

ضيق مصعب ما بين حاجبيه وهو يقول بإستنكار:
_وكيف سأفعل ذلك، أنسيت أمر الحراس الذين يملؤن القصر مؤكد سيُكشف أمري!

طمئنه نزار وهو أكثر من يحتاج إلى من يطمئنه في هذا الوقت قائلاً بهدوء:
_لا تقلق من هذه الناحية ففي الوقت الذي ستخرج فيه للملك، سنكون قد وضعنا رجالاً تابعون لنا .

_وكيف سأجعله يذهب بإتجاه ساحة المدينه فلربما يذهب إلى مكان آخر؟

_قلت لك لا تقلق كل شئ مخططٌ له من قبل، إفعل ما أطلبه منك وحسب.

تنهد مصعب في يأس وتمتم في خفوت:

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

_اتمنى أن يمر هذا اليوم على خير، وإلا سينتهي أمري في هذا العالم!

■ ■ ■

كان الملك يجلس على فراشه وهو يتلفت حوله في خوف، حتى فُتح الباب وظهر منه مصعب وهو يمسك في يده الخنجر ويقترب منه ببطئ وحذر، هبّ الملك واقفًا وهو يهز رأسه بهستيرية ويقول بذعر:
_لا... لا تقتلني أرجوك، أنا والدك كيف يمكنك فعل ذلك بي؟!

ابتسم مصعب بتهكم وأكمل سيره بإتجاهه، ودار حول الفراش فهرب الملك خارج الغرفه، ليجد الحارس يقف أمام الباب فصاح به قائلاً:
_امسكه بسرعه، إنه يريد قتلي!

نظر الحارس الذي كان تابعاً لنزار بإتجاه مصعب ثم أعاد نظره إلى الملك وقال بلامبالاه:
_لا يوجد أحدٌ هنا يا مولاي.. الطبيب منعك من الخروج من الغرفه رجاءً عُد إلى الداخل إن علم الوزير رعد بأني تركتك تخرج فسوف يقطع رأسي.

أبعد نُعمان يد الحارس عن ذراعه وركض في الممر، وكلما رأى حارسًا أمامه يطلب منه المساعدة ولا يجيبه أحد، ظلّ يركض وهو يجد الأبواب مفتوحة أمامه، فركض حتى وصل إلى خارج القصر، تابعه مصعب بعينيه وغمغم بقلق:

_لقد خرج، كيف سيذهب إلى مكان الدماء الآن؟

تابع نُعمان ركضه في الشارع كالمجانين بدون نعال، فرآه الحارس الشخصي للوزير رعد فنظر إليه مندهشًا وأخذ يركض خلفه منادياً عليه:

_مولاي! مالذي تفعله خارج القصر وبهذه الثياب؟

قالها وهو يشير إلى ثياب النوم الحريرية التي يرتديها الملك، فأجابه نُعمان لاهثاً وهو ما زال يركض دون توقف:

_الأمير.. الأمير يريد قتلي!

توقف مصعب فجأة وصعق عندما رأى حارس الوزير فأختبئ مسرعاً خلف أحد المنازل وقد سقط قلبه أرضاً فوجود هذا الرجل الآن قد يدمر

المخطط بشكل كامل، تمتم الحارس وهو يرى الملك يهرب بعيدًا دون أن يستطيع اللحاق به:
_ لقد صدق قول الناس بأن الملك قد جُنّ ..يجب أن أخبر الوزير
رعد بخروج الملك على الفور!

علت الدهشة وجوه الناس عندما رأوا الملك وهو يركض بثياب النوم والخوف يملأ قسمات وجهه ..إقتربوا منه وتحلقوا حوله فوقف لاهثًا وهو ينظر إليهم بخوفٍ حقيقي..

.
.
.
.
.

***في الليلة الماضية..**

كان الأطفال يسيرون في شوارع المدينه ويقومون بتوزيع قصاصات ورقيه كبيرة على المارة..
_ما هذه؟!

قالها أحد الرجال وهو يقلب الورقه في يده، فأجابه رجل آخر وأشار عليه قائلاً:
_لا أعرف، دعنا نفتحها ونرى ما بداخلها..

فتح الرجل الورقه المطوية ليجد قد كتب فيها بخط واضح..
«لقد إقتربت نهاية الظلم والظلام، موعدنا غدًا في ساحة المدينه في مكان دماء الأمير»

تبادل الجميع النظرات الغير مفهومة فيما بينهم، فقال أحدهم وهو يشير إلى الورقة:
_ماذا يقصد بنهاية الظلم والظلام؟

_ومن غيره، من قتل أميرنا ظلمًا وسفك دماء الأبرياء وتسبب في هذا الظلام طوال تلك السنين!

نظر الرجال خلفهم إلى مصدر الصوت ليجدوها العجوز سندس وبرفقتها فتون ورضوان وخالد، ضربت سندس بعصاها على الأرض

وقالت بحزم:
_لقد سئمنا من ظلم هذا الملك وقد حانت لحظة الإنتقام فهل انتم معنا أم ستصمتون كما فعلتم من قبل؟

نكس الرجال رؤسهم بخزي وهتف واحدٌ منهم قائلاً بقلة حيلة:
_وماذا يمكننا أن نفعل إنه أقوى منا وإذا وقفنا في وجهه سيقضي علينا

إنزعج خالد من ضعفهم وهروبهم المستمر من المواجهة فهتف قائلاً بقوة:
_ليس بعد الآن، فنُعمان أصبح ضعيفًا للغاية، بعد أن ظهرت له روح الأمير للإنتقام.. ما نحن فيه ليس بسبب نُعمان فحسب، بل بسبب صمتكم وخوفك.. إفعلوا ولو شيئاً واحداً نافعاً في حياتكم، فهل انتم معنا أم ماذا؟

تبادل الجميع النظرات، وما تفوه به خالد للتو يؤكد الأشاعات التي يتناقلها الجميع بحقيقة ظهور روح الأمير للإنتقام، كان هذا سبباً كافياً لبث روح الإنتقام والإتحاد فيما بينهم ليهتف الجميع في آن واحد:
_نعم نحن معكم...

.

.

.

.

***عودة إلى الوقت الحالي..**

إقترب أحد الرجال من نُعمان وقال بهدوء مدعياً المحبة:

_مولاي، مالذي تفعله هنا؟

_الأمير يريد قتلي ابعدوه عني ولا تدعوه يؤذيني .

إقترب منه الرجل بحذر وأمسك ذراعه مربتاً عليه بهدوء قائلاً:

_لن ندعه يمسك بسوء، هيا تعال معنا سنأخذك إلى مكان آمن ولن يستطيع الأمير أن يصل إليك .

هز نُعمان رأسه بالموافقة وهو يقول مسرعاً:

_أجل هيا لنذهب..

أخذه الرجال الذين كانوا يحاوطونه حتى لا يهرب منهم إلى ساحة المدينه عند الدماء التي تغلي، حيث كان جميع سكان المدينه والقرى المجاورة يتجمعون هناك، نظر إليهم الملك وقال بهلع:
_لمَ جئتم بي إلى هذا المكان؟

ابتسم رجل عجوز بتهكم كان قد عاصر كل مراحل ظلم وطغيان ذلك الملك، وقال ساخراً:
_لكي تأخذ العدالة مجراها، وكأن التاريخ يعيد نفسه، فمنذ ثمانية وعشرين عامًا كنا نتجمع هنا في هذا المكان شاهدين على أبشع جرائمك، أما الآن فنحن هنا لنشهد على موتك..

هز نُعمان رأسه بهستيريا، وأبتلت ثيابه بالعرق من فرط خوفه، فهتف فيهم بذعر:
_لا لن تستطيعوا أن تفعلوا شئ فجنودي لن يتركوكم تمسوني بسوء.

أشارت إمرأة من الواقفين إلى الجنود الذين يحيطون بهم ولم ينتبه لهم نُعمان من فرط خوفه وقالت بغضب هادر:

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

_تقصد هؤلاء الرجال، أريد أن أخبرك بأنهم هم من طلبوا منا أن نجتمع هنا، أنظر حولك جيدًا؛ فلكل شخصٍ موجود هنا له ثأر كبير عندك..

نظر نُعمان إلى الجنود وبصق عليهم وهو يقول بغضبٍ:
_أيها الخونه ..لن أرحم فيكم أحدًا..

ثم دار بعينيه في المكان وهتف بصوتٍ مبحوح من كثرة الصراخ:
_أين رعد، أين هو فإنه الوحيد الذي لن يغدر بي مثلكم أيها الخونة .

نظر الناس إلى بعضهم بخوف، فكيف نسوا أمر الوزير فمعروفٌ أنه الوحيد المخلص للملك في هذه المدينه، وفي تلك الأثناء إقترب مصعب ونزار وبعض الجنود، تراجع الناس في خوف عندما رأوا مصعب بثياب تشبه التي ذُبخ فيها الأمير، وهيئته التي تشبه الأموات، وسؤال واحد دار في أذهانهم، إن كانت هذه روح الأمير حقاً فكيف استطاعوا رؤيته أيضاً؟

تقدم الجنود وأمسكوا بالملك وقاموا بتقيده بالحبال في يديه وأرجله وألقوه على الأرض بعنف فصرخ بتأوه، ثم تقدم منه نزار بخطوات ثابته وجلس على إحدى ركبتيه بجانب رأس نُعمان وهو ينظر إليه بتشفي :

_ألا يذكرك هذا بشئ يا جلاله الملك نُعمان، مؤكد أنك تتذكر، لقد أخبروني أنك قمت بتقيد الأمير وإلقائه على الأرض كما فعلنا للتو، ولكن هناك فرقٌ كبير بينك وبينه، فهو لم يكن جبانًا ويبكي كالأطفال مثلما تفعل أنت الآن، كان رجلاً شجاعًا واجه قدره بقوة...

أخذ نُعمان ينوح ويولول كالنساء، نظر الناس إليه بتقزز، أهذا هو من كان يخيفهم طوال حياتهم، أهذا هو من قتل ابناءهم ورمل نساءهم، أهذا هو أسطورة الرعب التي كانوا يحكون لأبنائهم عنها، استحقروا انفسهم فخوفهم هو من كان يغذيه، سكوتهم هو جعله يستبد ويتمادى أكثر في أعماله الإجرامية، هتف نزار وهو يتابع حديثه:

_وماذا فعلت للأمير أيضًا، أمسكت خنجره وقمت بذبحه بكل وحشية وهذا ما سيحدث لك الآن.

ظلّ الملك يبكي بحرقه وأخذ يتوسلهم أن يتركوه وشأنه، فقام نزار وأعطى الخنجر لمصعب وقال بحزم:
_هيا يا أمير لقد حان وقت الأخذ بالثأر.

أمسك مصعب بالخنجر بتردد، وأقترب من الملك نزل إليه مصعب ومدّ يده بالخنجر ثم نظر في عينا الملك فرأى فيهم الضعف والإنكسار حدث نفسه قائلاً:
" مالذي تفعله يا مصعب هو لم يؤذيك بشئ لتذبحه، أجل هو شخصٌ ظالم؛ ولكن إن قتلته ستكون مثله تمامًا وقتها ماذا سيكون الفرق بينك وبينه، كما أنه شخصٌ أعزل وهذا ليس عدلاً"

قام من مكانه وصاح في صوتٍ مرتفع:
_لا لن أستطيع أن أذبحه!

سرت الهمهمات بين الناس وقد ظهر الضيق والتعجب على وجوههم؛ إقتربت منه فتون وقالت بصوتٍ عالٍ نسبيًا :
_إذبحه! إذبحه حتى لا يأخذوا أي فتاه من منزلها عنوة لتكون جارية

له ولرجاله..

وقف رضوان بجانب فتون وقال مؤيدًا :
_إذبحه بني كي يذهب عنا الظلام وتعود لنا حياتنا.

وضع نزار يده على كتف مصعب وشدد عليه بقبضته :
_إذبحه حتى لا تُسفك دماء الأبرياء في هذه المدينه مجددًا .

_إذبحه كي ترتاح روح ابني!

رفع مصعب رأسه فإذا بها السيدة علياء ومعها ابنتها نرجس، اتسعت حدقتا الملك وقال بتلعثم :
_الملكة فردوس؟ ءأنتِ حيه؟!

إقتربت منه وهي تستند على عصاها قائله بغضب والشرر يتطاير من عينيها :
_أجل الملكة فردوس التي سجنتها هي وابنتها وحرمتها من ابنها

الوحيد، هل تفاجئت؟ كنت تظن أننا متنا، لا نحن مازلنا على قيد الحياة وما زال في العمر بقية يا نُعمان، وأنت من يجب عليه الرحيل، لقد سئمنا منك ومن ظلمك يجب أن تموت كي تنعم روح صغيري بالسلام.

ثم التفتت إلى مصعب قائلة بحزم:

_هيا إذبحه يا بني .

وقبل أن يستوعب مصعب ما يحدث حوله، جاءهم صوت الوزير رعد القوي من خلفهم مبدداً خطتهم أدراج الرياح، وهو يهتف بغضبٍ هادر:

_مالذي يحدث هنا؟

■ ■ ■

١٢_

الحياة لا تتوقف عن إعطائنا دروساً لا نتعلمها في أفضل المدارس؛ والذكي هنا من يتعلم الدرس ويتعلم من أخطاءه وأخطاء غيره فلا يقع فيها..

إلتفت الجميع في آنٍ واحد إلى مصدر الصوت؛ فوجود رعد في المكان يعني أن خطتهم قد فشلت تماماً، وأن حلم الإنتقام قد ذهب أدراج الرياح، ومع ذلك وبالرغم من الخوف الذي سيطر على جميع من في المكان إلا انهم لم يتحركوا من أماكنهم قيد إنملة؛ بل ظلوا واقفين في مكانهم وبداخلهم نيران الإنتقام تزداد اشتعالاً أكثر فأكثر، فإن ضيعوا هذه الفرصة لن تأتيهم مرة أخرى مهما حدث، لذلك حافظوا على ثبات مبدأهم وقوة عزيمتهم، وحتى إن كلفهم هذا الثبات حياتهم فلا يشكل ذلك فارقاً فهم يومياً يقتل فيهم واحدٌ أو أكثر دون سببٍ أو ذنب، فليجعلوا لموتهم هذه المرة سبباً وسبباً عظيماً حولهم من مجرد أشخاصٍ ضعفاء إلى أبطالٍ حقيقين!

إقترب رعد وهو ينظر إلى مصعب بقوة حتى وقف أمامه مباشرة وهو يتفحص هيئته مضيقًا عينيه وبفحيح الأفاعي قال:
_مالذي تريد فعله بالملك؟

صاح الملك بفرحه وقد شعر أن روحه قد ردت إليه:
_حمدًا لله أنك جئت إلى هنا يا رعد فقد كانوا يريدون ذبحي .

ثم حول نظره إلى مصعب وجميع الموجودين في المكان وقال بتشفي:
_تريدون ذبحي صحيح انتظروا وسترون من الذي سيُذبح الآن!

شد رعد الخنجر من يد مصعب بعنف وبحركه فجائية وضعها على عنق مصعب هادرًا فيه:
_ إذن أنت من كان يخيفه ويظهر له بهيئه الأمير كل هذا الوقت؟ كنت تريد ذبح الملك صحيح؟ ولمَ لم تفعل ذلك، لقد أتتك الفرصه لمَ لم تستغلها؟

أغمض مصعب عينيه وقد أيقن أن هذه هي النهاية، لكنه ومع ذلك

تماسك ولم يضعف وقال بثبات حقيقي لا يدعيه:
_لا أستطيع، فأنا لا يوجد بيني وبينه أيّ عداوة لأفعل ذلك!

هزّ رعد رأسه وأنزل الخنجر من على عنقه وقال بهدوء :
_صحيح معك حق لا يوجد بينك وبينه عداوة لتقتله.. لكن أنا يوجد!

شهق الجميع بصدمة، وفتح مصعب عينيه وهو ينظر إليه بعدم فهم، تركه رعد وتقدم بخطواتٍ واثقه حتى وصل إلى الملك الذي كانت دهشته لا تقل عن دهشه الجميع، جلس رعد على ركبتيه بجانب الملك وهو يتأمل ملامح وجهه المجهدة والشاحبه وقال بتشفي :
_كم أنا سعيدٌ الآن لأنني وبعد كل هذه السنوات سأنفذ ماخططنا له!

حملق نُعمان في وجهه وفتح فاه بصدمه وعقله لا يستطيع إستيعاب ما يحدث حوله:
_ماذا ؟

_دعني أعرفك بنفسي أولاً جلالة الملك نُعمان، أنا رعد صديق طفوله وشباب الأمير تيم وقد رأيتك بعيني هاتين وأنت تذبحه وأنا لم استطيع أن أفعل له شيئًا!

ثم مدّ يده وأمسك الملك من شعره وجذبه منه بكل قوته وهو يصرخ في وجهه بغضب والدموع تسيل من عينيه متذكرًا لحظه ذبح صديقه الذي رغم مرور الزمن إلا أنه لم ينسى ماحدث معه:
_كيف طاوعك قلبك وفعلت به ذلك لقد حرمتني من أعز صديق لي فقط لأنه لم يرضى أن يكون ظالمًا مثلك، كنت سجنته أو حرمته من حقه في الحُكم، ولكن لماذا قتلته؟

دفع رعد رأس نُعمان على الأرض بقوة فأصطدمت رأس الأخير في الأرض القاسية، ليصرخ نُعمان بألم صرخات مدوية في المكان الذي كان يخيم عليه الصمت بشكل كبير، فسمع رعد وهو يتابع حديثه عن صديقه بتأثر:
_ لن ولم أنسى نظرته الأخيرة لي قبل ذبحه لقد نظر إليّ وكأنه يودعني!

ثم مسح دموعه بظهر كفه وتابع بحزم وهو يجزّ على أسنانه بغيظ :
_عندما أمرت بإلقاء جثته في الغابة أخذتها أنا وأصدقائي وقمنا بدفنه إكرامًا له فهذا كل ما نستطيع أن نقدمه له، وقد قطعنا عهدًا على انفسنا بأننا لن نرتاح حتى ننتقم منك.. الحقيقة أن مهمة الوصول إليك لم تكن سهلة أبدًا؛ لقد فعلت الكثير والكثير وتنازلت عن بعض مبادئي لأصل إليك، إلتحقت بالجيش وأثبت مهارتي في القتال تقربت من وزيرك السابق حتى أصبحت حارسه الشخصي وذراعه اليمنى ومن ثم أجبرته أن يكتب رساله يطلب فيها أن ينصبني وزيرًا من بعده ثم قتلته وجعلت الأمر يبدو وكأنه كان يعاني مرضاً نفسياً جعله ينتحر، وبهذا أصبحت أنا وزيرك وبئر أسرارك، وفي هذه الأوقات قمت بتهريب الملكة والأميرة وأخبرتك وأخبرت الجميع بأنهم ماتوا حزنًا على موت الأمير..

حانت من رعد إلتفاته نحو الملكة والاميرة اللتان كانتا تجهشان في البكاء عند سماع حديث رعد وسندس تقف بجانبها تخفف عنهن، نظر إليهما برفق، قبل أن يتابع:
_حاولنا مراراً أن ننفذ خطتنا لقتلك ولكن جميعها باءت بالفشل، حتى جاءت لي سندس ذات يوم وأخبرتني بشاب غريب جاء إلى المدينة

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

يشبه الأمير كثيرًا وفي اليوم نفسه رأيت مصعب في القصر بتهمة التمرد وقتها تأكدت من التشابه الكبير الذي بينه وبين الأمير وقمت بتهريبه من السجن أنا ورئيس السجن حسان صديق الأمير قبل أن تراه وتقتله وارسلته ليعيش في القرية وليكون بجانب الملكة فردوس والأميرة "زوجتي"... أجل فالأميرة أريس تكون زوجتي وأم ابني جنيد وأضطررنا أن نعطيهم اسماءً مستعارة حتى لا يشك أحد بهم، وعندما أخبرتني سندس بقصة الدماء التي تغلي علمت أن موعد تنفيذ خطتنا قد حان فأرسلت نزار ليحضر مصعب إلى القصر ويضعه في مكان سري لا يعلمه سوى أنا و الأمير و نزار وحسان فقط كي نبدأ بتنفيذ خطتنا!

كان الملك وجميع من في المكان وبما فيهم مصعب يستمعون إلى حديثه بدهشه ممزوجه بالصدمة فآخر شئ يمكن أن يصدقونه أن الوزير رعد يكره الملك إلى هذه الدرجه، وأن الشر الذي كانوا يرونه فيه ما هو إلا قناعٌ كاذب يرتديه ليخدع الملك، جاء نزار و حسان ووقفوا خلف رعد فقال حسان :

_هيا يا رعد لقد حان الوقت!

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

هزّ رعد رأسه موافقًا وأطبق على الخنجر ثم وضعها على رقبة الملك وقال بإبتسامه يملأها كل الكره والغضب المتواجدان في هذا الكون:
_الوداع أيها الملك!

أشاح مصعب بوجهه إلى الجهة الأخرى وهو مغمض العينين، بينما كان الجميع يشخصون أبصارهم بإتجاه الملك فهذا المشهد لن يرونه مجددًا، صرخة عالية جعلت القشعريرة تسري في جسده ثم سمع صوت الناس وهم يهتفون بإسم رعد في سعادة بالغة؛ إلتفت نحو جسد الملك الملقى على الأرض والدماء تسيل من رقبته بغزارة في مشهد مثيرًا للإشمئزاز جعل أمعائه تتقلص وقلبه ينقبض بشدة، صاحت سندس وهي تشير بيدها إلى الأرض :
_انظروا لقد توقفت الدماء عن الغليان!

إختلطت دماء الملك والأمير معًا وبدأت الأرض في إمتصاصها شيئًا فشيئًا حتى جفت تماماً ولم يبقى إلا أثرها على الأرض، رفع الجميع رؤسهم إلى السماء وهم يرون الغيوم السوداء وهي تنسحب من مكانها بهدوء وبدأ اللون الأزرق للسماء يظهر بوضوح، حتى أطلت الشمس وهي تفرد أشعتها الذهبيه الدافئة على إستحياء، كان الأطفال مندهشون

من ذلك الضوء القوي الذي ملأ المكان بطريقة غريبة عنهم، أما الكبار فكانوا يهتفون ويتراقصون بسعادة وفرح، فأخيرًا انتهى الظلام وبدأ عهد جديد لن يكون فيه ظلم أو ظلام ولن تسفك فيه دماء الأبرياء مجددًا، والأهم من كل هذا أنهم لن يسكتوا عن الظلم مهما حدث، سيضحون بحياتهم ويقاتلون حتى آخر نفسٍ فيهم ولكنهم لن يرضوا بعيش حياه الذل مرة أخرى، لقد كان الدرس قاسيًا وهم تعلموه جيدًا.

أخذ مصعب يتأمل المدينه وهو يراها على حقيقتها للمرة الأولى بمنازلها الجميلة ذات الألوان الزاهية التي تبعث البهجة في النفوس؛ الآن فقط تبدو المنازل مختلفة عن بعضها فلكل منزل لونه الخاص، بدأت الأزهار في التفتح والعصافير تطير في المكان وكأنها تشارك الناس سعادتهم، ولا يعرف من أين جاءت ولا أين كانت مختبئة كل هذه الفترة؟ زالت اللعنة وعاد كل شئ جميلاً حتى التربة لم تعد تحمل رائحة الدماء كما السابق!

إقتربت الملكة من مصعب ومسحت فوق رأسه قائلة بحب :

_اشكرك كثيرًا بني، لولاك ما كنا لنغير أي شئ هنا.

إنحنى إليها مصعب قائلاً بإحترام :

_لا تقولي هذا مولاتي فأنا لم أفعل شيئًا، الفضل كله يعود للوزير رعد وأصدقائه، أنا فقط كنت أنفذ الأوامر.

_ولكننا لن ننسى مجهودك الذي بذلته معنا أيها الأمير!

إلتفت مصعب نحو مصدر الصوت فوجد رعد يقف خلفه وبجانبه زوجته الأميرة والعجوز سندس ونزار فقال مصعب باسمًا:
_حتى أنت سيدي تنادني بالأمير؟

إقترب منه رعد وأحتضنه وقد نُزع عنه قناع الغلظة والقسوة وظهر وجهه الحقيقي البشوش:
_أجل أنت أميرٌ بالفعل، لا أعرف ولكنك تشبهه في كل شئ حتى رفضك بأن تذبح الملك تشبهه في ذلك أيضًا كان يكره رؤية الدماء تمامًا مثلك.

إبتسم مصعب وهو يومئ موافقاً وقد تذكر تشبيه جده له بالأمير، قبل أن يقول:
_يجب أن أعترف بأنني أصبحت أحب الأمير للغاية إنه شخصٌ

يستحق المحبة ويستحق كل ما فعلتموه من أجل الثأر له ولكن الشئ الذي لم أصدقه أنك كنت تساعدنا كل هذا الوقت وأنا الذي ظننتك في البداية تشبه الملك وتأكدت من ذلك عندما أمرت بتعذيبي في السجن!

هز رعد رأسه بالنفي وقال بثبات :
_لم أكن أنا من أمر بتعذيبك بل كان ذلك الجندي الذي منعته من أخذ الفتاه لقد أراد الإنتقام منك، وعندما أخبرني حسان بذلك أمرت بسجن الجندي على الفور، ولم يكن يجب عليّ أن أظهر حقيقتي لأحد حتى لا يضيع كل ما خططنا له طوال تلك السنين...

توقف رعد عن التحدث فجأة وقد إتسعت حدقتا عينيه وهو يقول بصدمة:
_ماهذا؟

_ماذا هناك؟

_أنت تختفي!

قالها وهو يشير إليه بإصبعٍ مرتعشه، رفع مصعب ذراعه فوجدها بدأت تختفي بالفعل نظر إلى سندس التي قالت :

_لقد انتهت مهمتك يا بني ويجب أن تعود للديار!

إلتمعت العبرات في عينا مصعب فهو لم يكن جاهزاً بعد للرحيل، ولن يتسنى له الوقت في توديع الجميع، رفع كفه الذي كاد يختفي وقال بتأثر والدموع التي شقت طريقها على وجهه:

_أشكركم جميعًا على حسن معاملتكم لي سأشتاق إليكم كثيرًا، لن أنساكم أبدًا.. الوداع .

أجهش رضوان بالبكاء وهو يرفع يده مودعاً ذلك الفتى الذي ملأ عليه فراغه وأعاد إليه شعور الأبوة الذي كاد ينساه بوفاة ابنته، كانوا يرونه وهو يختفي من أمامهم بعضهم يفهم ما يحدث وبعضهم ينظرون إليه دون أن يفهموا شيئًا، حتى أختفى من المكان تمامًا، إلتفت رعد نحو سندس وسألها بإندهاش :

_مالذي يحدث هنا يا سندس، وهل أنتِ متأكدة أنكِ أخبرتني بكل شئ

يخص مصعب؟

مسحت سندس دموعها وتنهدت بحزن وهي تجيبه :
_مصعب لم يكن من عالمنا يا سيدي، جاء إلى هنا عن طريق بابٍ قديم وجده في منزل جده وهو الوحيد الذي استطاع أن يفتحه ...

قاطعها رعد قائلاً بعدم فهم :
_باب ..أي باب؟

_هذا هو الشئ الذي لم أخبرك به بأمر مصعب، العجوز صخر هو من أظهر الباب الذي سمح له بالدخول إلى عالمنا وقد ظهر في اليوم الذي ذُبح فيه الأمير وكان نفسه اليوم الذي ولد فيه مصعب!

هزّ رعد رأسه بعدم تصديق :
_أنا لم أعد أفهم شيئًا!

ثم حوّل رأسه إلى جسد الملك المُلقى على الأرض والذي تجاهله

الناس بفرحتهم لإستقبال ظهور الشمس من جديد ومن ثم إختفاء مصعب وكأنه يوم المفاجأت والأحداث الغير مألوفة، أشار إليه بيده وقال للجنود :

_إحفروا له قبرًا وقوموا بدفنه فنحن لن نلقه في الغابة كما أراد أن يفعل بأميرنا.

إنحنى الجنديان وحملا جثمان الملك ليقوموا بدفنه كما أمرهم ..

■ ■ ■

١٣_

فتح عينيه فوجد نفسه ملقىً على أرض القبو الباردة إستند على مرفقه وهو يحاول الجلوس ضاغطًا على رأسه بتألم من نوبة الصداع التي باغتته بمجرد إستيقاظه، رمش بعينيه عدة مرات وكأنه يحاول إستعادة ذاكرته التي شعر بضياعها، إتسعت عيناه وقد تذكر كل ما حدث معه لينهض من مجلسه كالملسوع ونظر إلى الباب وهو يهتف بذهول وقد تكرر معه الأمر مرة أخرى:

_لقد اختفى، هذا يعني أنني لن أراهم مجددًا، سيد رضوان والسيدة سندس والسيدة علياء ...

أخفض رأسه بحزن وهو يبكي بحرقة :

_ لا أعرف كيف سأعيش بدونهم بعد أن إعتدت عليهم بهذا الشكل، لم أكن يومًا شخصًا إجتماعيًا ولكن معهم شعرت بالألفه والإنتماء كيف لي أن أنساهم أو أنسى ما حدث معي.

مسح دمعاته ثم رفع رأسه وكأنه تذكر شيئًا هامًا :
_أمي!

ركض مسرعًا وصعد إلى الأعلى فوجد البيت في حالة سكون، وصل إلى غرفة والدته وكاد يفتح بابها فتوقف عندما تذكر هيئته فقرر تبديل ثيابه حتى لا تفزع والدته من الهيئة التي هو عليها الآن، يكفيها ماعانته من إختفائه المفاجئ وهو للآن لا يعرف كيف سيبرر فعلته تلك وكيف سيقنعها بما حدث معه وإن كانت ستصدقه من الأصل!

ذهب مسرعًا إلى غرفته وغسل وجهه وبدل ثيابه ليعاود الوقوف أمام غرفة والدته، فتح الباب ببطئ وأطل برأسه من فتحة الباب ليجدها نائمة في سكينه ومن حسن حظه أن والدته تترك إضاءة الغرفة مفتوحه عندما تخلد إلى النوم، حتى يستطيع أن يراها ويشبع عيناه منها، تقدم نحوها وجلس على الأرض بجوار فراشها مد يده وأمسك كفها برفق ثم طبع عليه قُبلة رقيقة وهو يقول بصوتٍ منخفض أقرب للهمس :
_لقد اشتقت إليكِ كثيرًا يا أمي مؤكد أنكِ قلقتي عليّ للغاية أعدك أنني لن أتركككِ مجددًا، وحقًا لا أعرف حتى الآن كيف سأخبرك بماحدث

معي وهل ستصدقيني أم لا؟!

فتحت والدته عيناها عندما شعرت بلمسته وبهمسه الذي لم تتبين منه شيئًا لتقول بهدوء :
_مصعب لمَ أنت مستيقظ حتى الآن، إذهب إلى النوم فغدًا ستذهب إلى عملك الجديد!

حملق في وجهها عدة ثوانٍ محاولاً إستيعاب ما قالته للتو ضيق عيناه وقال بعدم فهم:
_ ماذا؟

قامت والدته وجلست على فراشها وهي تتأمل ملامح الصدمة التي ظهرت على وجهه :
_ماذا بك أنسيت أنك ستذهب في الغد إلى البنك لتتسلم عملك الجديد هناك؟

تمتم مصعب وهو يحك رأسه بعدم فهم :

_غدًا، وعملي الجديد، مالذي يحدث هنا؟

ثم ألتفت نحو والدته وسألها مسرعًا:
_أمي ما تاريخ اليوم؟

_الرابع من مايو!

_مستحيل!

ثم نظر إلى الساعة المعلقة على حائط الغرفة فوجدها العاشرة والنصف مساءً هزّ رأسه وقال بغير تصديق :
_مؤكد أن هناك شئٌ خاطئ!

_ماذا بك يا مصعب؟!

رفع رأسه ونظر إلى والدته بتيه وتشتت، وأجابها بتردد:
_هه.... لاعليكِ يا أمي.

قالها ثم نهض من على الأرض بتثاقل قبّل رأس والدته وقال وهو يهم بالإنصراف :

_تصبحين على خير .

خرج من الغرفة وهو لا يصدق ما يحدث معه، سار في الممر المؤدي إلى غرفته دخلها ثم جلس على طرف فراشه وهو يتمتم :

_كيف يعقل هذا؟ لقد قضيت أيامًا واسابيع كثيرة في ذلك العالم، وهنا لم يمر سوى نصف ساعة فقط، فعندما رأيت طريقة فتح الباب في منامي وذهبت لأتأكد مما رأيت كانت الساعة حينها تشير إلى العاشرة، والساعة الآن العاشرة والنصف وقد كان التاريخ يومها الرابع من مايو، كيف للعقل أن يصدق ما يحدث!

إرتسمت إبتسامة ساخرة على زاوية فمه ليقول :

_ وهل ما حدث معي منذ فتحي للباب وما رأيته في ذلك العالم كان يُصدق، لو قصصت ما حدث على أحد سيظن انني أُصبتُ بالجنون!

■ ■ ■

إرتفع صوت آذان الفجر في الأرجاء تملل في فراشه وفتح عينيه ببطئ

وهو يأمل أن يجد نفسه في منزل العجوز رضوان، لكنه فتحها بخيبه أمل عندما أبصر سقف غرفته في منزل جده، ها هو عاد وحيداً من جديد، جلس على فراشه وزفر بضيق قائلاً وهو يمرر يده في خصلات شعره وهو يهز رأسه:

_بالطبع سأحتاج إلى الكثير من الوقت لأنسى.

نهض ووقف أمام المرآة بشعره الأشعث فأبتسم لإنعكاس صورته ثم قال وهو ينحني بطريقة مسرحية:

_صباح الخير أيها الأمير!

توضأ وذهب لتأدية صلاة الفجر في المسجد القريب من المنزل، ظلّ يقرأ في المصحف دون أن يشعر بالوقت، انهى قراءته ثم عاد إلى المنزل، وفي طريقه إلى المطبخ ألقى نظرة سريعة على باب القبو ابتسم وهو يتذكر كيف كاد الفضول يقتله ليعرف قصة الباب وهاهو قد عرفها وانتهى كل شئ..

_صباح الخير أمي

إلتفتت إليه والدته وحيته بإبتسامة :

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

_صباح الخير بني، هيا إجلس وتناول فطورك لتذهب إلى عملك

هز رأسه موافقًا فمد يده ليسحب مقعدًا وشرع في تناول الطعام،
نظرت إليه والدته بتفحص :
_مصعب!

_نعم

_هل أنت بخير، عندما جئت إلى غرفتي بالأمس شعرت أن هناك شيٌ يضايقك وكأنك تائه، ماذا هناك بني؟!

_لا شئ يا أمي لقد كنت متعبٌ فقط، والآن أنا بخير الحمدلله

وضع الطعام في فمه وقال محدثًا نفسه:
_ليتني استطيع أن أخبرك بما حدث معي ولكنك لن تصدقيني أبدًا.

مر الوقت وهو يأكل بشرود، ثم مدّ يده وأمسك بكوب الماء شرب منه

القليل وقال:

_الحمدلله لقد شبعت سأذهب الآن.

_رافقتك السلامة.

أمسك هاتفه وحامله مفاتيحه، ثم خرج من المنزل ظلّ يسير في القرية وهو يتأملها وكأنه يراها للمرة الأولى، هي ليست بجمال القرية التي كان يمكث فيها مع رضوان ولكنها على الأقل موجودة على الخريطة ومعروفه، بعكس ذلك العالم الذي لا يعلم موقعهم من الأصل!

وصل إلى الطريق العام ثم أشار إلى أول سيارة أجرة مرت أمامه، فباغته السائق بسؤاله:

_إلى أين سيدي

_بنك (.....)

■ ■ ■

الخاتمة

عاد بعد إنتهاء دوامه إلى المنزل، ألقى التحية على والدته والخالة سليمة ثم ذهب إلى غرفته وبدل ثيابه مدّ يده وأمسك بدفتر مذكراته الذي كان قد نسي أمره، وشرع في تدوين ما يدور بداخله من مشاعر..

" الخامس من مايو ... الساعة الرابعة عصراً.

أعترف أنني في السابق أي قبل ذهابي إلى ديجوريا كنت شخصًا إنطوائيًا بعض الشئ، لا أحب الناس، وتزعجني التجمعات حتى ذهبت إلى هناك وقابلت أولئك الأشخاص فأصبحت أحب الناس واستطيع أن أكوّن صداقات بسهوله، فاليوم تعرفت على جزءٍ لا بأس به من زملائي في البنك، وهذا حدث بسهوله ويسر، في السابق لم استطع أن فعل ذلك أبدًا أما الآن فالوضع قد تغير كثيراً، هذه التجربة غيّرت من طباعي الكثير، صحيحٌ أن الأوضاع هناك لم تكن مستقرة وكنت من وقتٍ لآخر أوبخ نفسي لإنني ذهبت إلى ذلك العالم، لكن اعترف أنني إستمتعت كثيرًا لقد كانت رحلة ممتعة حقًا، رحلة إستطاعت أن تفعل بي مالم يستطيع أحدٌ أن يفعله معي، اتمنى حقًا لو أعود ثانية وأراهم مجددًا فلقد إشتقت إليهم كثيرًا تُرى مالذي يحدث عندهم الآن مؤكد أنه

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

مرّ الكثير من الوقت هناك، تُرى هل أصبح رعد هو الملك إن لم يكن رعد الملك فمن سيكون إذن؟ وكيف حال صديقي السيد رضوان، لقد كنت أشعر معه وكأنني مع والدي حقًا، والسيدة سندس والملكة فردوس والسيد فراس والجميع..ليتني أستطيع رؤيتهم من جديد..

تنهد بحزن وهو يمسح دمعه سقطت من عينه دون أن يدري، أغلق دفتره فأتسعت حدقتاه وهو يشاهد غلاف الدفتر وقد تغير شكله وبدأت تظهر عليه بعض النقوش الغريبة، ظلّ ساهمًا وهو ينظر إليها مندهشًا وقد شعر بداخله أنه رأى تلك النقوش من قبل؛ ولكن أين؟

مدّ يده في قميصه وأخرج قلادة نحاسية كانت معلقه في عنقه فأخذ ينظر للقلادة تارة وللنقوش التي تظهر على الغلاف تارة أخرى!

***قبل أسابيع في ديجوريا..**

.

.

.

رواية " ديجـوريا " فاطمة محمد -قدوتي عائشة

"إرتدي هذه القلادة ولا تخلعها أبدًا لأنك ستحتاجها "

مدّ يده ليأخذ القلادة من سندس وأخذ يتأمل شكلها الدائري ونقوشها الذهبية الغريبة، هزّ رأسه وقال بعدم إقتناع:
_ولكني لا أؤمن بالتمائم وتلك الأشياء وأن القلادة ستحميني من الأذى!

نظرت إليه سندس وسألته بجمود:
_ومن قال بأنها ستحميك؟

_أنتِ قُلتي سيدتي بأنني سأحتاجها!

_ قلت ستحتاجها ولم أقل ستحميك!

سألها بفضول :
_ومتى سأحتاجها؟

حركت العجوز عينيها بملل وكاد صبرها ينفد منه وقالت بحنق:
_هل أخبرك أحدٌ من قبل أنك تسأل كثيرًا!

ابتسم وهو يحكّ رأسه بحرج :
_أجل، الجميع يقول هذا!

أشارت إليه آمره :
_ فقط إرتديها ولا تسأل لماذا!

تنهد بيأس ثم وضعها في عنقه بصمت..

.

.

.

***عودة إلى الوقت الحالي..**

مسح بيده على القلادة وهو يقول بذهول:
_النقوش التي على القلادة هي نفسها التي ظهرت على الغلاف للتو!

وبمجرد المسح على النقوش وبدون سابق انذار أخذت النقوش التي على الغلاف تشع ضوءًا ذهبيًا أنار كل أرجاء الغرفه، وفي الوقت ذاته بدأت النقوش التي على القلادة تصدر الضوء نفسه ومن ثم أطلقت شعاعًا قويًا كاد يصيبه بالعمى، وضع كفيه أمام وجهه ليحمي عيناه من شدة الضوء، ثوانٍ وأبعد يده عن وجهه لتتسع عيناه من شدة الدهشة وهو يرى صورة مجسمه للعجوز سندس تظهر من خلال الضوء وهي تبتسم له قائلة بحنان :

_مصعب بني كيف حالك؟

إزدادت عيناه إتساعًا وهتف مندهشًا:

_سندس؟!

تمت..